

# مجلة جامعة البعث

سلسلة العلوم التاريخية و الاجتماعية



مجلة علمية محكمة دورية

المجلد 44 . العدد 8

1443 هـ . 2022 م

الأستاذ الدكتور عبد الباسط الخطيب

رئيس جامعة البعث

المدير المسؤول عن المجلة

رئيس هيئة التحرير

أ. د. ناصر سعد الدين

رئيس التحرير

أ. د. هائل الطالب

مديرة مكتب مجلة جامعة البعث

بشرى مصطفى

عضو هيئة التحرير	د. محمد هلال
عضو هيئة التحرير	د. فهد شريباتي
عضو هيئة التحرير	د. معن سلامة
عضو هيئة التحرير	د. جمال العلي
عضو هيئة التحرير	د. عباد كاسوحة
عضو هيئة التحرير	د. محمود عامر
عضو هيئة التحرير	د. أحمد الحسن
عضو هيئة التحرير	د. سونيا عطية
عضو هيئة التحرير	د. ريم ديب
عضو هيئة التحرير	د. حسن مشرقي
عضو هيئة التحرير	د. هيثم حسن
عضو هيئة التحرير	د. نزار عبشي

تهدف المجلة إلى نشر البحوث العلمية الأصيلة، ويمكن للراغبين في طلبها

الاتصال بالعنوان التالي:

رئيس تحرير مجلة جامعة البعث

سورية . حمص . جامعة البعث . الإدارة المركزية . ص . ب (77)

. هاتف / فاكس : 2138071 31 963 ++

. موقع الإنترنت : [www.albaath-univ.edu.sy](http://www.albaath-univ.edu.sy)

. البريد الإلكتروني : [magazine@ albaath-univ.edu.sy](mailto:magazine@albaath-univ.edu.sy)

**ISSN: 1022-467X**

## شروط النشر في مجلة جامعة البعث

الأوراق المطلوبة:

- 2 نسخة ورقية من البحث بدون اسم الباحث / الكلية / الجامعة + CD / word من البحث منسق حسب شروط المجلة.
  - طابع بحث علمي + طابع نقابة معلمين.
  - إذا كان الباحث طالب دراسات عليا:  
يجب إرفاق قرار تسجيل الدكتوراه / ماجستير + كتاب من الدكتور المشرف بموافقة على النشر في المجلة.
  - إذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية:  
يجب إرفاق قرار المجلس المختص بإنجاز البحث أو قرار قسم بالموافقة على اعتماده حسب الحال.
  - إذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية من خارج جامعة البعث :  
يجب إحضار كتاب من عمادة كليته تثبت أنه عضو بالهيئة التدريسية و على رأس عمله حتى تاريخه.
  - إذا كان الباحث عضواً في الهيئة الفنية :  
يجب إرفاق كتاب يحدد فيه مكان و زمان إجراء البحث , وما يثبت صفته وأنه على رأس عمله.
  - يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (العلوم الطبية والهندسية والأساسية والتطبيقية):  
عنوان البحث .. ملخص عربي و إنكليزي ( كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).
- 1- مقدمة
  - 2- هدف البحث
  - 3- مواد وطرق البحث
  - 4- النتائج ومناقشتها .
  - 5- الاستنتاجات والتوصيات .
  - 6- المراجع.

- يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات ( الآداب - الاقتصاد - التربية - الحقوق - السياحة - التربية الموسيقية وجميع العلوم الإنسانية):
- عنوان البحث .. ملخص عربي و إنكليزي ( كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1. مقدمة.
2. مشكلة البحث وأهميته والجديد فيه.
3. أهداف البحث و أسئلته.
4. فرضيات البحث و حدوده.
5. مصطلحات البحث و تعريفاته الإجرائية.
6. الإطار النظري و الدراسات السابقة.
7. منهج البحث و إجراءاته.
8. عرض البحث و المناقشة والتحليل
9. نتائج البحث.
10. مقترحات البحث إن وجدت.
11. قائمة المصادر والمراجع.

7- يجب اعتماد الإعدادات الآتية أثناء طباعة البحث على الكمبيوتر:

- أ- قياس الورق 25×17.5 B5.
  - ب- هوامش الصفحة: أعلى 2.54- أسفل 2.54 - يمين 2.5- يسار 2.5 سم
  - ت- رأس الصفحة 1.6 / تذييل الصفحة 1.8
  - ث- نوع الخط وقياسه: العنوان . Monotype Koufi قياس 20
- . كتابة النص Simplified Arabic قياس 13 عادي . العناوين الفرعية Simplified Arabic قياس 13 عريض .

- ج . يجب مراعاة أن يكون قياس الصور والجداول المدرجة في البحث لا يتعدى 12سم.
- 8- في حال عدم إجراء البحث وفقاً لما ورد أعلاه من إشارات فإن البحث سيهمل ولا يرد البحث إلى صاحبه.
- 9- تقديم أي بحث للنشر في المجلة يدل ضمناً على عدم نشره في أي مكان آخر ، وفي حال قبول البحث للنشر في مجلة جامعة البعث يجب عدم نشره في أي مجلة أخرى .
- 10- الناشر غير مسؤول عن محتوى ما ينشر من مادة الموضوعات التي تنشر في المجلة

11- تكتب المراجع ضمن النص على الشكل التالي: [1] ثم رقم الصفحة ويفضل استخدام التهميش الإلكتروني المعمول به في نظام وورد WORD حيث يشير الرقم إلى رقم المرجع الوارد في قائمة المراجع.

تكتب جميع المراجع باللغة الانكليزية (الأحرف الرومانية) وفق التالي:  
آ . إذا كان المرجع أجنبياً:

الكنية بالأحرف الكبيرة . الحرف الأول من الاسم تتبعه فاصلة . سنة النشر . وتتبعها معترضة ( - ) عنوان الكتاب ويوضع تحته خط وتتبعه نقطة . دار النشر وتتبعها فاصلة . الطبعة ( ثانية . ثالثة ) . بلد النشر وتتبعها فاصلة . عدد صفحات الكتاب وتتبعها نقطة .  
وفيما يلي مثال على ذلك:

-MAVRODEANUS, R1986- Flame Spectroscopy. Willy, New York, 373p.

ب . إذا كان المرجع بحثاً منشوراً في مجلة باللغة الأجنبية:

. بعد الكنية والاسم وسنة النشر يضاف عنوان البحث وتتبعه فاصلة, اسم المجلد ويوضع تحته خط وتتبعه فاصلة . المجلد والعدد ( كتابية مختزلة ) وبعدها فاصلة . أرقام الصفحات الخاصة بالبحث ضمن المجلة.  
مثال على ذلك:

BUSSE,E 1980 Organic Brain Diseases Clinical Psychiatry News ,  
Vol. 4. 20 – 60

ج . إذا كان المرجع أو البحث منشوراً باللغة العربية فيجب تحويله إلى اللغة الإنكليزية و  
التقيد

بالبنود (أ و ب) ويكتب في نهاية المراجع العربية: ( المراجع In Arabic )

## رسوم النشر في مجلة جامعة البعث

1. دفع رسم نشر (20000) ل.س عشرون ألف ليرة سورية عن كل بحث لكل باحث يريد نشره في مجلة جامعة البعث.
2. دفع رسم نشر (50000) ل.س خمسون الف ليرة سورية عن كل بحث للباحثين من الجامعة الخاصة والافتراضية .
3. دفع رسم نشر (200) مئتا دولار أمريكي فقط للباحثين من خارج القطر العربي السوري .
4. دفع مبلغ (3000) ل.س ثلاثة آلاف ليرة سورية رسم موافقة على النشر من كافة الباحثين.

## المحتوى

الصفحة	اسم الباحث	اسم البحث
32-11	نور قطرميز د. محمد الزين	المرأة في النحت السوري الهيلنستي
106-33	محسن يوسف محمد	رعاية الأطفال الرضع في العصر الروماني (27 ق.م-200م)
136-107	نزار داوود سلطان	المادة الإخبارية التاريخية في كتاب معجم البلدان في ما يخص مكة المكرمة







## المرأة في النحت السوري الهلنستي

طالبة الدكتوراه: نور عبد السلام قطرميز

قسم التاريخ - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة دمشق

إشراف: الأستاذ الدكتور محمد الزين

### ملخص البحث باللغة العربية

اهتم الفنان السوري في العصر الهلنستي بالإنسان وواقعه، ووصل إلى درجة عالية من الإبداع، وظهر التأثير الإغريقي واضحاً في أعماله الفنية، فأخذ يحاول الوصول إلى إيجاد نموذج أعلى للجمال المثالي للمرأة، وهناك شواهد رائعة جسدت ما وصل إليه الفنان السوري من إبداع في المدن الهلنستية الشهيرة كأنطاكية و أفاميا ودورا وأروبيوس واللاذقية وغيرها، وأهم المنحوتات تمثال توخي أنطاكية واسبازيا وذات الرداء المبتل وغيرها من روائع الفن السوري الهلنستي.

الكلمات المفتاحية: النحت ، المرأة، العصر الهلنستي، سورية

# Women in Hellenistic Syrian Sculpture

By ph.D student : Nour Abd Alsalam Qatramiz-Faculty of Arts and Humanities of Damascus- History Department

Provisor Proffisor by ph.Doctor : Mohammad Alzain

Abstract in English:

## Abstract

The Syrian artist in the Hellenistic era was interested in human kind and his Reality, The artist has reached a high degree of creativity, The Greek influence was evident in his artworks, There are wonderful evidence that embodied the creativity reached by the Syrian artist in the famous Hellenistic cities of Antioch, Apamia, Dura-Eeropos, Latakia and others. The most important Sculptures are the ststue of Toukhi of Antioch and the one with the wet robe and other master pieces of Hellenistic Syrian art.

Key words : Sculpture ,woman, Helleinstic era, Syria .

## مقدمة:

يعتبر العصر الهلنستي بالنسبة للفن بمثابة نقطة تحول في تاريخ الفن السوري، إذ أنه ظهر في فترة احتكت فيها فنون الشرق بالفن الإغريقي، وتغيرت فيها شروط الحياة، وتبدل نوع التفكير، وظهرت النزعات الفردية، وازداد ميل الإنسان إلى الطبيعة، وتأثره بالعاطفة فانعكس كل ذلك في الحركة الفنية التي ظهرت في سورية في العصر الهلنستي، وفي الواقع، أخذ الفن يتحرر من الأسرار القديمة، ويتخلص من تبعيته للتعاليم الدينية، وبدأ الفن السوري في العصر الهلنستي يهتم بالإنسان وواقعه، ويعبر عن حقيقته بغرائزه وعواطفه، ومشاعره ونزعاته... بل إنه بدأ يتميز بالتعبير عن رقة شعوره وإرهاف حسه في عصر كانت فيه أنطاكية والإسكندرية ورودس وبرجام مراكز الإشعاع الفني، أخذت على عاتقها رسالة تشجيع الحركة الفنية، ومهمة توجيهها إلى تمثيل الواقع، وتصوير الحقيقة. ووصل الفنان فيها إلى درجة الإبداع خيل فيها أن الإنسان سيصل يوماً إلى درجة إمكانية منح الحياة إلى تلك التماثيل ذات التعابير الحاملة والنظرات الشاردة والملاح التي تفيض بنبضات الحياة، ومعاني التأمل ومظاهر التفكير في عصر اعتبر فيه الإنسان رمزاً للوجود ومقياساً للجمال، ووسيلة للتعبير عن العواطف والمشاعر، ويبدو بجلاء أن فن النحت قد تأثر في بداية هذا العصر تأثراً شديداً بتقاليد الفن الإغريقي في القرن الرابع، وهي التي تُعزى إلى أعظم مثاليه وكانوا: براكسيتلس (Praxiteles) وسكوباس (Skop) ولوسيبوس (Lysippos) إلا أنه وبمضي الزمن أدخلت على هذه التقاليد في كل إقليم تعديلات تتفق مع بيئته وظروفه، فنشأت عن ذلك عدة مدارس لكل منها مميزات في الطراز والموضوعات، وإذا كان الباحثين يستبعدون وجود مدرسة سورية هلنستية في النحت لأنهم يستبعدون أن يكون الفنان يوتوخيدس (Eutochides) قد هجر موطنه سيكيون وأقام في إنطاكية وأنشأ فيها مدرسة عندما قام بنحت تماثيل توخي إنطاكية فإن البعض الآخر يعتقدون بوجود مدرسة سورية هلنستية في النحت بشكل خاص قوامها إنتاج إنطاكية وغيرها من المدن وأطلق عليها اسم (مدرسة إنطاكية). وفي رأي هؤلاء الباحثين أن مبتكرات هذه المدرسة جمعت خصائص الفن الهلنستي المتطور. وتتخلص هذه الخصائص في نسب القامات الطويلة وتعرية الريات والنساء بشكل عام، وجعل أجسامهم ذات لحوم مكتنزة، والإغراق في إظهار معالم التهيج والانفعال على الوجوه،

ويبدو أن الفنان السوري في ذلك العصر قد تأثر بفكرة الفنان الإغريقي وروائع الفن الإغريقي فأخذ يحاول الوصول إلى إيجاد نموذج أعلى للجمال المثالي للمرأة.

**أهمية البحث:** تتبع أهمية البحث في كونه يلقي الضوء على أهم التطورات والتغيرات التي شهدتها فن النحت السوري في العصر الهلنستي وإظهار انعكاساتها على التماثيل التي تمثل الربيات والمرأة بشكل عام، كما أن معظم الدراسات العربية والأجنبية التي تناولت هذه الفترة التاريخية قد ركزت غالباً على الجانب السياسي، وعلى الرغم من وفرة الدراسات المتخصصة بالفن الهلنستي إلا أنه لم تقرد دراسات تخص النماذج النحتية الأنثوية بل جاءت ضمن مواضيع الفن الهلنستي بشكل عام بالرغم من كونها تجسد أهم معالم فن النحت السوري في العصر الهلنستي.

**هدف البحث:** يهدف هذا البحث إلى دراسة:

- 1 - معالم النحت السوري في العصر الهلنستي وأهم التغيرات التي طرأت عليه .
- 2 - أهم المنحوتات التي تمثل المرأة في سورية في العصر الهلنستي.
- 3 - الانعكاسات التي برزت على المنحوتات السورية نتيجة تمازج المفاهيم الفنية الشرقية بالمفاهيم الغربية .

**إشكالية البحث:** تتمثل إشكالية البحث في الأهمية الكبيرة لدراسة فنون العصر الهلنستي ولا سيما فن النحت لإظهار أهم مميزات ومعالم العصر والذي يعكس لنا وبشكل جلي مدى التمازج بين الشرق والغرب في تلك الفترة ، كما يبرز لنا مدى التأثير والتأثير ويوضح التغير في طرق التفكير والمعتقدات والتي انعكست بشكل كبير على المنحوتات التي تمثل الربيات والمرأة بشكل عام.

**فرضيات البحث:** يقوم البحث على الفرضيات التالية:

- 1 - هل احتكت حضارات الشرق القديم بحضارة الإغريق بعد الفتح المقدوني؟ وما مدى تأثير هذا الاحتكاك على فن النحت ولا سيما النماذج النحتية التي تمثل المرأة؟
- 2 - هل انعكس تأثير بناء المدن السلوقية والمدارس الفنية ولا سيما في أنطاكية على فن النحت السوري ؟
- 3 - هل من مبتكرات وأساليب جديدة فرضت نفسها على فن النحت وبالأخص المنحوتات التي تمثل المرأة في ظل العصر الجديد ؟

## منهجية البحث :

اتبعت الباحثة خلال دراستها المنهج التحليلي العلمي النقدي القائم على استنباط المعلومات من المصادر الأثرية والمصادر التاريخية الكتابية، إلى جانب المنهج الوصفي للنماذج النحتية الأثرية والتي تمثل روائع النحت الهلنستي في سورية.

## عرض البحث والمناقشة والتحليل:

### - تمهيد:

لئن فكر فيليب المقدوني بتحرير المدن الإغريقية من نفوذ الفرس، فإن ابنه اسكندر الكبير قد عهدت إليه الأقدار بالقيام بفتوحات لم يعرف لها التاريخ مثيلاً، وأشرقت في مخيلته فكرة توحيد العالم القديم على أسس جديدة تعتمد على روابط (( الحب الشريف والزواج الطاهر والنسل المشترك)) فكان لانتصاره في معركة (إسوس ISSOS) عام 333 ق.م أثره البعيد لأنه حطم أسطورة عدم قدرة الإغريق على قتال الفرس. فقام الاسكندر ببناء مدينة جديدة قرب ساحة هذه المعركة وأطلق اسمه على هذه المدينة السورية الجديدة التي عرفت باسم اسكندرونة. وكان سلوقس من أقدر القواد المقدونيين في جيش الإسكندر تحالف فيما بعد مع بطليموس ضد أنتيجون، وبعد حروبهما ضده، وانتصارهما عليه، نال بطليموس فلسطين التي ضمها إلى مملكة البطالمة في مصر، في حين أن سلوقس استرجع بابل، وفي معركة (إيبسوس Ipsus) أحرز سلوقس انتصاراً هاماً حقق له الفوز بالقسم الشرقي من آسيا الصغرى وسورية فشكل مملكة واسعة من أعظم ممالك المقدونيين التي ظهرت على أنقاض إمبراطورية الإسكندر. وأعجب ملك سورية سلوقس نيكاتور Seleucus Nicator بسياسة قائده الإسكندر الكبير، واعتبر بناءه لمدينة اسكندرونة عملاً هاماً جديراً بمتابعته، فبنى سلوقس نيكاتور مدناً جديدة حملت اسمه ( مثل: السويدية) واسم أبيه أنطيوخس (مثل إنطاكية) واسم زوجته الآسيوية (افاميا) واسم امه لاوديسه (مثل اللاذقية).

وكان سلوقس نيكاتور يعتقد بأن البلاد تنطبع بالطابع الإغريقي بقدر ما يبني فيها من مدن حديثة. وكان يقيم في هذه المدن الحديثة جنود قدماء من مقدونيين وإغريق. وكان الحكام يعتمدون على هؤلاء في إدارة البلاد ومراقبة السكان اصحاب البلاد، مما جعل لهذه النهضة العمرانية أهدافاً سياسية، ومآرب استعمارية، وغايات ثقافية.

ولا بد من الإشارة إلى أن كثيراً من المدن التي اعتبرت حديثة لم تكن في الواقع سوى مدن قديمة أعيد بناؤها أو اقتصر على تغيير اسمها فقط. ومهما يكن من أمر، يمكن اعتبار أنطاكية واللاذقية وأفاميا ودورا أوروبوس مدناً حديثة أنشئت في العصر الهلنستي، فازدهر فيها الفن حتى غدت مركزاً رئيسياً من مراكزه الفنية وعُثر فيها على أروع النماذج النحتية التي تمثل المرأة بصور مختلفة. وفيما يلي استعراض لأهم هذه المنحوتات في المدن الهلنستية الرئيسية في سورية.

### 1- مدينة إنطاكية:

تقع إنطاكية في الشمال الغربي من سوريا عند الطرف الجنوبي لسهل العمق ويحدها شرقاً جبل سيليبوس (Silpios) وغرباً نهر العاصي، وقد أنشأها سلوقس في العام الثاني عشر من حكمه أي في عام 300 ق.م، وأطلق عليها اسمها تخليداً لوالده أنطيوخس وسمى هذه المدينة المؤرخ (أميانوس ماركيلينيوس AMMIANUS MARCELLINUS) (درة الشرق الجميلة)<sup>(1)</sup> كما دفع بالإعجاب مؤرخاً آخر إلى المبالغة بالقول، (إن إنطاكية بلغت من الجمال حدّاً جعل الآلهة تتلهف للإقامة فيها)<sup>(2)</sup>

ترددت الكثير من الروايات حول نشأة إنطاكية، وتذهب بعض الروايات إلى أن الإسكندر هو الذي اختار موقع المدينة بنفسه، فقد ذكر المؤرخ ليبانيوس (Libanius)، أن الإسكندربعد أن هزم دارا في موقعة إسوس عام 333 ق.م، تقدم نحو فينيقية، ولم يلبث أن توقف في الطريق عند مكان يوجد إلى الشرق من الموقع الذي أقيمت عليه إنطاكية فيما بعد، حيث كان يوجد نبع ماء بالغ العذوبة، حتى إن الإسكندر عندما شرب منه صاح أنه يضارع لبن أمه، وأطلق على النبع اسم (أولمبياس) والدة الإسكندر، وأنه عندما رأى جمال الموقع فكر في بناء مدينة فيه، ولكن لم يكن بوسعه إيقاف سير الحملة، فاتخذ الخطوة الأولى نحو إنشاء مذبح للإله زيوس في هذا المكان<sup>(3)</sup> ولكننا نفتقر في المصادر الأخرى أي سند لهذا الزعم بما يوحي بأنه ليس إلا وليد خيال صاحبه ليبانيوس

Ammianus Marcellinus: Tr, John C. Rolf L. C. L, 1972, XXII,9, 14.

(1)

(2) داوني، جلافييل: إنطاكية القديمة، ترجمة إبراهيم نصحي، القاهرة 1967م، ص71.

Libanius, Antiochikos: Selected works, tr.A. F Norman. L.C.L, 1969, 72-77, 87.

(3)



- الذي اشتهر بحبه الشديد لمسقط رأسه أنطاكية - ليضفي على مدينته نوعاً من الجلال ما زهيت به المدن التي أسسها الفاتح الكبير<sup>(1)</sup>

وكان تدشين المدن يتم بحفلة كبرى يحضرها جمهور كبير كالحفلة التي أقيمت بمناسبة تأسيس مدينة إنطاكية حضرها ملك سورية (سلوقس نيكاتور) ورجال الدين الوثنيون، ورجال السلاح وفتاة جميلة تدعى (إيماتة Aimate) تهيأت لتكون هي الأضحية نفسها، لأن اعتقادات الوثنيين القدماء كانت تتطلب تضحية فتاة عذراء جميلة لضمان حماية الآلهة للمدينة. ويعتقد البعض أن تمثال (تيكة إنطاكية) (الشكل 1) يمثل هذه الفتاة الجميلة (إيماتة) نفسها<sup>(2)</sup> حيث يذكر المؤرخ (بوزانياس Pausanias) أن (أوتيكيدس Eutychides) أحد تلاميذ الفنان الكبير (ليزيب Lysippe) أبدع تمثالاً جميلاً كان له صدها البعيد في تاريخ الفن، الذي يمثل (تيكة Tyche) ربة سعادة إنطاكية فتاة جميلة متدثرة بثوب فضفاض أنيقصفت ثيابه وأذياله على شكل بديع وهي جالسة على صخرة بجسمها الرشيح الطويل وتلتفت إلى الجهة اليسرى، وتتطلع إلى بعيد وكأنها تشرف على أعلى جبل (سيلبيوس) على السهول الإنطاكية الخصيبة ، تمسك بيدها حزمة من سنابل القمح السوري التي ترمز إلى الخصوبة، ويتدفق نهر العاصي من تحت قدميها بحركة مسرحية على شكل غلام - شبيهاً ب(ناياد Naiade) ابنة زيوس التي كانت ترعى الينابيع وتحمي الأنهار - و بأسطاً زراعيه كأنه يسبح، أما رأسها فقد زين بتاج مصنوع على هيئة سور المدينة ويفيض وجهها بأنبل المشاعر وأرقى العواطف وأجمل التعابير<sup>(3)</sup>.

ففي هذا العمل الفني الجميل نجح الفنان في إبراز خصائص إنطاكية وعناصر زهوها، وجعله يمثل جمالها وقوتها، وخيالها وسحرها، ونهرها وجبلها، بأسلوب فني فيه جمال الصورة والمضمون، وسحر المعنى والمبنى.

(1) العابد، مفيد رائف: سورية في عصر السلوقيين، دمشق 1993م، دار شمال للطباعة والنشر، ص339.

(2) زهدي، بشير: الفن الهلنستي والروماني في سورية، دمشق، دت، ص11

(3) سارة، خليل: تاريخ الوطن العربي في العصور الكلاسيكية، جامعة دمشق، 2008-2009م، ص133 زهدي،

بشير: نفس المرجع، ص17.

ويتوقع الأستاذ الكبير (شارل بيكارد ch. Piccard) أن تساعد نتائج الحفر والتنقيب على تمييز مدرسة فنية سورية تتميز نماذجها النسائية العارية بالبدانة، ويعتبر خير نماذجها الفنية تمثالاً اكتشف في دورا أوروبوس ويمثل (أفروديت تضع قدمها على ظهر سلحفاة) ومن المحتمل أن يكون هذا التمثال أحد الروائع الفنية التي أبدعتها مدرسة أنطاكية حسب رأي الأستاذ بيكارد الذي يلاحظ في هذا التمثال مبالغة في ميلان الجذع إلى الجانب توحى بالإثارة، وتدل على هوية المنشأ.

كما عثر على عدة تماثيل يعتقد بعض الباحثين بأنها من أعمال هذه المدرسة، ولعل أشهر هذه التماثيل مجموعة تمثل أفروديت وبان وإيروس (الشكل 2) وجدت في أحد معابد ديلوس، وتوجد هذه المجموعة الآن في متحف أثينا<sup>(1)</sup> تبدو أفروديت فيها مثلاً أعلى للجمال النسائي ويعبر وجهها عن أسى معاني التأمل البعيد، وتبدو عارية وواقفة تستند على رجلها اليمنى وتثني ركة رجلها اليسرى مما يعطي لجسمها الممتلئ تعبيراً عن الحركة الواقفة، وقد أمسك (بان) إله الرعاة بيسراه معصم يدها اليسرى فظهر التناقض بين جسمها الجميل الناعم وبين جسمه المغطى معظمه بالوبر، وفي نظراته الشاخصة في وجه أفروديت المشرق معاني الرجاء والاستعطاف، ونرى على كتف أفروديت الأيسر إيروس ممسكاً بقرن (بان) إله الرعاة.

إن تماثيل أفروديت المكتشفة في سورية تدل على بعض الخصائص الفنية المحلية ولا سيما فيما يتعلق بامتداد الجسم ونسب أجزائه، وإبراز آثار الإثارة، وملامح الانفعال على الوجوه<sup>(2)</sup>.

## 2- مدينة دورا أوروبوس:

تعتبر مدينة دورا أوروبوس من أشهر مستعمرات الإمبراطورية السلوقية التي تقع شمال شرقي الصحراء السورية على الشاطئ الأيسر لنهر الفرات، وقد أقيمت على موقع

(1) العابد، مفيد رائف: المرجع السابق، ص 338.

(2) زهدي، بشير: المرجع السابق، ص 19.

قرية قديمة تسمى دورا (Dura) ومعناها بالأرامية الجدار أو الديار، ويعود إنشاء هذه المستعمرة إلى 300 ق.م حين شرع نيكاتور (Nicanor) حاكم منطقة شرق سورية في إقامتها بتكليف من سلوقس الأول، وأطلق عليها اسم أوروبوس، على اسم مسقط رأس سلوقس في مقدونية، وتعد هذه المستعمرة من أفضل منشآت السلوقيين، وقد حظيت باهتمام رجال الآثار في العصر الحديث، واستمر التنقيب في موقعها لمدة 12 عاماً متواصلة<sup>(1)</sup>

ومن أشهر المنحوتات التي عثر عليها في دورا أوروبوس تمثال لامرأة محسنة وهي قائمة على قاعدة، ورأس هذا التمثال محطم وحجمه كالحج الطبيعي، وترى المرأة ممثلة فيه، وهي ترتدي ثوباً أيونياً، ذا ثنيات شاقولية، تتحدر حتى قدميها، ثم تلتف بمعطفها الذي يخفي ذراعيها، ويجلل إحدى أذياله رأسها، فيبدو شعرها المتموج تحته، وتمسك بيدها اليمنى حذاء عنقها، وهذا التمثال مصنوع من الجص، وقد تأثر من طول بقائه في الأرض، فنتشوه وجهه ويده، ونقصته قطعة من رداءه، غير أن صنعة هذا الرداء دقيقة جداً، وتذكرنا بتمثال شهير ابتكر في القرن الثاني قبل الميلاد، وكان يمثل رمز (الحياة) على صورة امرأة ملتفة بردائها، وقد عثر على هذا التمثال في معبد أرتميس<sup>(2)</sup>، ويدل طرازه على أنه كان من صنع فنان محلي عاش في دورا في القرن الثاني قبل الميلاد<sup>(3)</sup>.

وقد وجد أيضاً في قاعة (أفروديت) من المعبد المذكور تمثال صغير لهذه الربة، وكان يتألف من عدة قطع، فقد بعضها، وهو مصنوع من مرمر باروس، ويظن أنه من صنع أنطاكية، أو صيدا، ورأسه مفقود حالياً، ويبلغ طوله الحالي (56سم)، وطوله القديم (65سم) وتبدو فيه أفروديت واقفة ومستندة على ساقها اليمنى، أما ساقها اليسرى فمثنوية، ويرتكز طرف قدمها على ظهر سلحفاة (علامة من علامات أفروديت) (الشكل 3)، وهي حيوان مقدس عند الإغريق ( فيميل جسمها، وبرز كشحها الأيمن، وهي ترتدي ثوباً أيونياً مفتوحاً حول العنق بشكل كبير، وحوله نطاق حول ثدييها، وفوقه معطف يحيط

(1) فرح، أبو اليسر: الشرق الأدنى في العصرين الهلنستي والروماني، القاهرة، 2002، ص 194-195.

(2) عبد الحق، سليم عادل: الفن الإغريقي وآثاره المشهورة في الشرق، مطبعة الترقي، دمشق، 1950، ص 203.

(3) العابد، مفيد رائف: سورية في عصر السلوقيين، ص 338.

بنصفها السفلي، ويلتف على خصرها، ثم تجتمع كتلة منه في هذه الجهة، وتجتاز من اليمين إلى اليسار جسمها، وتصعد إلى ما تحت إبطها، وهناك تمسكه يدها، ويلاحظ أيضاً أن ثنياته تجتمع على ساقها اليسرى، ويسيل قماشها على فخذها الأيسر، ويحدث ثنيات عميقة بين الساقين.

ولهذا التمثال أهمية فائقة لأنه يعطينا فكرة عن تماثل ضائع من تماثيل فيدياس العظيم، كان يمثل أفروديت وهي ترفع ساقها، وكان رأس السلسلة التي انحدرت منها تماثيل مشهورة، منها: فينوس فلورنسا، وفينوس كابو، وربة النصر الموجودة في بريسيا، وقد أظهرت حفريات دورا أيضاً عدة تماثيل فخارية، منها تماثيل لربة السعادة، وهي تحمل بوق الخصب، وصدورها مغطى بثوب معلق على كتفها، ومنحدر على قدميها، وتماثل للربة أرتميز يظهر أنها كانت ممثلة وهي تحمل قوسها<sup>(1)</sup>.

### 3- مدينة لاوداكية (اللاذقية):

تقع لاوداكية على الشاطئ الشمالي الشرقي للبحر المتوسط إلى الجنوب من سلوقية بيرييه وشمال نهر الكبير الشمالي<sup>(2)</sup> وقد اتفق المؤرخون على أن سلوقس أنشأ هذه المدينة هذه المدينة تكريماً لوالده لاوديكي، ومن المرجح أنها أقيمت في موقع قرينتين فينيقيتين هما رمانثا (Ramantha) ومازابدا (Mazabda)<sup>(3)</sup>

ومن أهم المكتشفات الأثرية في لاوداكية تماثيل (فينوس بثوبها المبتل) (الشكل 4) والذي يمثل ربة الجمال متدثرة بثوب فضفاض مبتل ملتصق بجسمها يكشف عن مفاتنه، تزينه ثنيات مؤلفة من خطوط مختلفة الأطوال والأشكال<sup>(4)</sup> حيث يعتبر من أضخم الأمثلة النحتية الهلنستية في متحف دمشق<sup>(5)</sup>، كما اكتشف في اللاذقية قسم من واجهة تابوت رخامي نحت عليه سبع صور بارزة تمثل أسطورة (بسيشة) و(إيروس) (الشكل 5) الذي

(1) عبد الحق، سليم عادل: الفن الإغريقي وآثاره المشهورة في الشرق، ص204.

(2) العابد، مفيد رائف: سورية في عصر السلوقيين، ص326.

(3) Granger.J.d: The cities of Seleukid Syria,Oxford,1990,p.111.

(4) زهدي، بشير: المرجع السابق، ص22.

(5) بهنسي، عفيف: المرجع السابق، ص164.

يحررها من سجن الجسد ويعرج بها إلى مملكة الأولمب وعالم الخلود، ففي جهة اليمين تبدو ربة نصف عارية تضع يمانها على كتف إيروس العاري، وفي الوسط تبدو ربة نصف عارية تضع يمانها على كتف إيروس العاري، وفي الوسط تبدو الربة تقترب من ملاك يدها إلى الورا وخلفه ربة متدثرة بملابس فضفاضة وقد وقف خلفها ملاك مجنح عار يسند رأسه بقبضة يمانه ويعبر وجهه عن الذهول والشروء، وقد وقف أمامه حيوان صغير، ويحيط بهذا المشهد زخارف ذات أوراق نباتية<sup>(1)</sup>

#### 4- مدينة أفاميا:

تقع مدينة أفاميا على بعد واحد وخمسين كيلو متراً شمال غربي حماة ويمر بالقرب منها وإلى الغرب نهر العاصي على بعد ثلاثة كيلو مترات، وقد أقيمت في موقع قرية قديمة تسمى فارناك (Pharnak)، وكان يوجد في هذا الموقع مستعمرة للمحاربين القدماء، أطلق عليها اسم (بللا) على اسم العاصمة المقدونية، وقد أقام سلوقس هذه المدينة تكريماً لزوجته الفارسية (أباما)، وهي واحدة من ثلاث مدن حملت اسم هذه الزوجة، وترجع أهمية هذه المدينة إلى أنها قاعدة عسكرية مهمة للجيش السلوقي<sup>(2)</sup>، ويذكر استرابون أنه كان فيها لسوقس ثلاثمائة جواد وثلاثون ألف فرس وخمسمائة فيل هندي<sup>(3)</sup> وقد تمتعت أفاميا في العصرين السلوقي والروماني بقدر من الأهمية لا تفوقه إلا أهمية إنطاكية. ولكن على الرغم من الأهمية التي تمتعت بها مدينة أفاميا في العصر السلوقي فإن الحفائر التي أجريت في موقعها في العصر الحديث، لم تسفر إلا عن العثور على آثار قليلة ترجع في غالبيتها إلى العصر الروماني، كما عثر على بقايا معبد للإله زيوس يُعتقد أن تاريخه يرجع إلى العصر الهلنستي<sup>(4)</sup> وقد عُثر في أفاميا على تمثال للروح (بسيشة) (الشكل 6) في صورة طفلة صغيرة يبيض وجهها بمعاني الألم الصارخ

(1) زهدي، بشير: المرجع السابق، ص 26.

(2) سارة، خليل: المرجع السابق، ص 130، انظر أيضاً: كمال، حسن: تاريخ الفن والعمارة من العصر الكلاسيكي حتى نهاية العصور الوسطى، ط 5، منشورات جامعة دمشق 1998-1999م، ص 98

(3) Strabon: Geography.Tr: H.L JONES L.C.L 1966,16,2,10.

(3)

(4) سارة، خليل: المرجع السابق، ص 131.

والحزن الدفين<sup>(1)</sup> وهي جالسة على قاعدة شبه مستطيلة وقد ثنت ساقها اليمنى وجعلت من ذراعها الأيسر دعامة لها، ورأسها مرفوع وخداها ممتلئان وعيناها تتجهان إلى الأعلى كأنها تستعطف الأرباب في أن ترحمها وهذا التمثال من المرمر الأبيض وهو منحوت بإتقان وأسلوبه واقعي وقد توخى النحات فيه إظهار الانفعال والتهيج بصورة مسرحية وهو محفوظ في المتحف الوطني بدمشق<sup>(2)</sup>

لقد أخذ الانفعال النابض يميز كل عمل فني ويعتبره جزءاً من جماله حتى أنه اعتبر كل عمل لا انفعال فيه ليس سوى عمل صناعي عادي لا قيمة فنية له، فصارت الآلهة نفسها تبدو في تماثيلها في حالات الألم بعدما كانت محاطة بالجلال، وهذا ما يذكرنا بقول (أفلاطون) أن (( الروح (بسيشه) تهبط من قصرها العلوي إلى سجنها الأبدي قصرها (المسحور)) وهكذا فقد تبدل المثل الأعلى للفن، وأخذ الإنسان يهتز ألماً، ويتأثر بالعاطفة، وبدأ الإنسان يقتبس مواضيع روائعه الفنية من النفس التي عصف بها الحب، ويعبر عن نزعاتها ومشاعرها وعواطفها وحالاتها. ويهتم بالتعبير الرمزي الذي جعل في (بسيشه) مفهوم الروح وعذابها في سجنها الجسدي وطموحها إلى عالم الخلود<sup>(3)</sup>.

## 5- المنحوتات في أماكن متفرقة من سورية:

### - مدينة حماه:

اكتشف في حماه تمثال رخامي صغير يمثل سيدة واقفة وتمدثرة برداء فضفاض طويل ينسدل من رأسها ويغطي كتفيها ويديها ورجليها، وإن حركة يدها اليمنى وحركة رجلها اليسرى جعلت للرداء خطوطاً متموجة جميلة، كما أن حركة اليد اليسرى أحدثت في الرداء خطوطاً شاقولية متوازية، وأبدع الفنان في ملامح الوجه المعبرة، وشعرها المتموج بشكل متناظر، ويعتبر هذا التمثال من روائع الآثار الفنية التي يزهو بها المتحف الوطني بدمشق، ويعود إلى العصر الهلنستي ويمثل (اسبازيا) (الشكل 7) الشهيرة حسب رأي بعض

(1) بهنسي، عفيف: تاريخ الفن والعمارة، ط6، منشورات جامعة دمشق، 1997-1998، ص164.

(2) كمال، حسن: المرجع السابق، ص104.

(3) زهدي، بشير: المرجع السابق، ص25، 26.

مؤرخي الفن<sup>(1)</sup>. وقد وجدها في حماه العالم الأثري (إنغولت) خلال حفرياته، ونسبها إلى القرن الثاني الميلادي. وهي تمثل نسخة من أثر أصلي يقال إنه من صنع النحات الإغريقي الشهير فيدياس في زمن بريكلس<sup>(2)</sup> وإذا كان الفنان قد بحث عن الجمال المثالي في المرأة العارية ونصف العارية، فقد بحث عنه أيضاً في المرأة المتدثرة بملابسها. فقد اكتشف في حماه تمثال برونزي يمثل ربة الخصب متدثرة بثوب يعلوه رداء ينسدل طرفاه على ذراع يدها اليسرى التي تحمل قرناً مملوء بالفواكه رمزاً للخصب. وتلتفت إلى اليمين بنظرات فيها أجمل التعابير. كما اكتشف في حماه تمثال كبير (حساء حماه) (الشكل 8) يمثل سيدة واقفة متدثرة بثوب طويل يعلوه رداء يلف جسمها وينسدل طرفه على كتفها الأيسر ويدها اليسرى، وقد برزت يدها اليمنى لتمسك بها أحد أطراف رداؤها الذي تشكلت فيه ثنيات منحنية جميلة، ويزين أسفل عنقها طوق جميل له ميدالية أمامية، وفي أذنيها قرط بديع يعبر عن مدى ميل الشرقيات إلى الحلي، ويعبر وجهها عن أسمى المشاعر الإنسانية. والجدير بالذكر أن الفنان استخدم اللون الأحمر للملابس<sup>(3)</sup>.

واكتشف في حماه أيضاً تمثال رخامي يمثل (فينوس) ذات شعر مضافور، تتحدر ضفائره إلى الكتفين، لها عنق طويل، ووجه مثلث الشكل وجبهة عريضة، وجسم نحيل في أعلاه ينحسر الرداء عنه فتبادر إلى ستر ثديها الأيسر بينماها ومسك طرف رداؤها ببسراها. وفي منطقة سلمية اكتشف تمثال رخامي يمثل اكتشف تمثال رخامي يمثل (أفروديت) تستر بينماها ثديها الأيسر وتمسك ببسراها طرف رداؤها الذي انحسر عن جسمها مما جعل وجهها يعبر عن الانفعال والتأثر.

## - مدينة حمص:

اكتشف في مدينة حمص تماثيل رخامية صغيرة تمثل فينوس عارية، تذكرنا بتمثال (فينوس) دوكنيد، إذ أنها تبدو عارية وواقفة تستند على رجلها اليسرى وتنتهي رجلها اليمنى

(1) زهدي بشير: نفس المرجع، ص22، 21.

(2) عبد الحق، سليم عادل: كنوز متحف دمشق الوطني، مطبعة الترقى، دمشق، 1959، ص23.

(3) زهدي، بشير: المرجع السابق، ص25.

وتبادر إلى ستر جسمها بيدها اليسرى وهي تنظر إلى اليسار كما لو كانت تخشى أن يراها أحد وقد مال كتفها الأيسر قليلاً مما أعطى لوضع جسمها تعبيراً عن الحركة الواقفة وقد وقفت إلى يساره إيروس، ويعتبر هذا التمثال من روائع فن النحت المحلي ومن أجمل تماثيل فينوس التي تعبر عن الجمال المثالي للمرأة، أضف إلى ذلك التمثال الرخامي الذي تبدو فيه فينوس وقد انحسر رداؤها عن القسم العلوي من جسمها فبادرت إلى ستر صدرها ببسراها ومسك رداؤها بيدها بحركة فيها الرشاقة، وتمثال مماثل تبدو فيه فينوس وقد انحسر رداؤها عن جسمها فسترت بيدها الأيسر وأمسكت ببسراها طرف رداؤها<sup>(1)</sup> كما عثر على تمثال يمثل أسطورة ليدا<sup>(2)</sup> وهو يمثل الربة واقفة وقد انحسر رداؤها عن جسمها فكشف عن مفاتن الجمال المثالي للمرأة فأمسكت طرفه ببسراها ووقفت إلى جانبها (إوز) يداعب طرف الرداء وقد أبدع الفنان في إبراز تعابير الوجه ذي النظرات الشاردة الناطقة عن المخاوف الباطنية، وجعل صفائر الشعر تتساب إلى الكتفين واكتشف في حمص تمثال رخامي يمثل فتاة متدثرة بثوب وراء تستند على رجلها اليمنى، وترفع يدها اليسرى، وتقبض في يسراها على تفاحة ويدل هذا التمثال على مدى حرص الفنان على إبراز ثنيات الملابس ليجعل منها عناصر جمالية ذات وحدة جمالية.

وفي الرستن اكتشف تمثال رخامي يمثل (أفروديت) عارية تذكرنا بتمثال (فينوس دوكنيد) تستر جسمها بيدها، ونمسك رداها ببسراها لتلقي به جانباً وتقوم بالاغتسال الذي يجدد سحر تأثيرها، وقد ظهر شعرها الجميل، تتفرع منه ضفيران قصيرتان تزينان الكتفين، وارتسمت على وجهها ملامح الذهول، وظهر جسمها بنسبه خير ممثل للجمال النسائي، واكتشف في الرستن تمثال رخامي يمثل (أفروديت) تستر بيدها الأيسر وتمسك ببسراها طرف رداؤها الذي انحسر عن جسمها مما جعل وجهها يعبر عن الانفعال والتأثر، واكتشف في (تلبيسة) تمثال مماثل لربة تبدو واقفة تمسك ببسراها طرف رداؤها الواسع له ثنيات عديدة جميلة، وقد وقف على كتفها الأيسر طفل صغير. واكتشف في تلبيسة أيضاً تمثال برونزي صغير يمثل فينوس مشوكة القد عارية الجسم تستر نفسها

(1) زهدي، بشير: المرجع السابق، ص 19-21.

(2) بهنسي، عفيف: المرجع السابق، ص 164، 163.



بيدها اليسرى وتستند على رجلها اليسرى وتثني ركبتيها اليمنى قليلاً إلى الأمام بحركة فيها الرشاقة، وتلتفت إلى اليسار بنظرات شاردة ويبدو شعرها كهالة جميلة.

- وأخيراً اكتشف تماثيل متعددة جنوب سورية ففي صلخد اكتشف تمثال برونزي صغير يمثل (فينوس) واقفة عارية تمسك بصفائر شعرها المناسب على كتفيها كما لو كانت تجففه، وقد أبدع الفنان في إبراز جمال المرأة المثالي، وتعابير وجهها، واكتشف في خسفين تمثال برونزي صغير يمثل ( فينوس ) واقفة عارية تستر جسمها بيسراها وترفع يدها اليمنى إلى الأعلى، وقد زين عنقها بطوق ذهبي، ومعصم كل من يديها بسوار، وكل من رجليها بخلخال، وفي (الزوية) اكتشف تمثال برونزي صغير يمثل الربة (فينوس) عارية الجسم تستر جسمها بيسراها، وتضم إلى صدرها يدها اليمنى، وتستند على رجلها اليسرى وتثني ركبتيها اليمنى قليلاً إلى الأمام، وتعبّر نظراتها عن أنبل المشاعر وأجمل التعابير. كما اكتشف تمثال آخر مماثل، تبدو فيه (فينوس) وقد انحسر رداؤها عن القسم العلوي من جسمها فأخذت تستر بأصابع يدها جسمها الذي يتميز بجمال النسب، ويدل على مدى ما وصل إليه الفنان في ميدان الإبداع الفني<sup>(1)</sup>.

#### - الخاتمة:

مع نشوء إمبراطورية الإسكندر الكبير والممالك الهلنستية تغيرت شروط الحياة الاجتماعية الإغريقية وكان لذلك أكبر الأثر على الحياة الفنية ، فظهرت مدارس فنية في

(1) زهدي، بشير: المرجع السابق، ص24،22.

إنطاكية والإسكندرية وغيرها تولت مصير الفن وفتحت أمامه آفاقاً جديدة، بعد أن احتك بأرض الشرق وعقلية أهله وعواطفهم، وعلى الرغم من أن التنقيبات الأثرية في المدن السورية الهلنستية ما تزال في مرحلتها الأولى، يمكننا القول بوجود مدرسة سورية هلنستية في النحت، كانت تعتمد على إنتاج إنطاكية وغيرها من المدن الهلنستية، وقد استفادت هذه المدرسة من نظريات الفنان ليزيب الذي رافق الاسكندر لدى مروره في سورية ومن آراء غيره من الفنانين ك(برياكزيس)، وابتدعت مبادئ جديدة، كان لها أثر كبير في توجيه النحت الروماني في عصر بومبي، وتتلخص هذه المبادئ في نسب القامات الطويلة وفي تعرية الرباط وجعل أجسامهن ذات لحوم مكنتزة وممتلئة والإغراق في إظهار معالم التهيج والانفعال على الوجوه. وبالرغم من احتقار الشرق للعري، إلا أن الفنان السوري في ذلك العصر قد تأثر بفكرة الفنان الإغريقي وروائع الفن الإغريقي فأخذ يحاول الوصول إلى إيجاد نموذج أعلى للجمال المثالي للمرأة. حيث ترك الفنان السوري في العصر الهلنستي روائع فنية تعتبر من أجمل ما أبدعه الفن السوري عبر التاريخ لما تتميز به من جمال المعنى والصورة والمضمون مما جعل الفنانين المعاصرين يعودون إليها ويعتبرونها نماذج جديرة بالتأمل والدراسة لأنها بمثابة مفاخر للفن، ومظهر من مظاهر الفكر والحضارة وسبيل للإطلاع على حقيقة الجمال الذي بدا بأروع صوره في تماثيل أفروديت وحسنا وحماه واسبازيا وذات الرداء المبتل وغيرها من روائع الفن الهلنستي في سورية التي عكس فيها الفنان أنبل المشاعر وأجمل التعابير، كما أبرز الصورة المثالية للجمال النسائي فكانت منحوتاته الفنية خير مثال عكس من خلاله مدى التأثير والتأثير والأخذ والعطاء بين الحضارات الشرقية والحضارة الإغريقية.



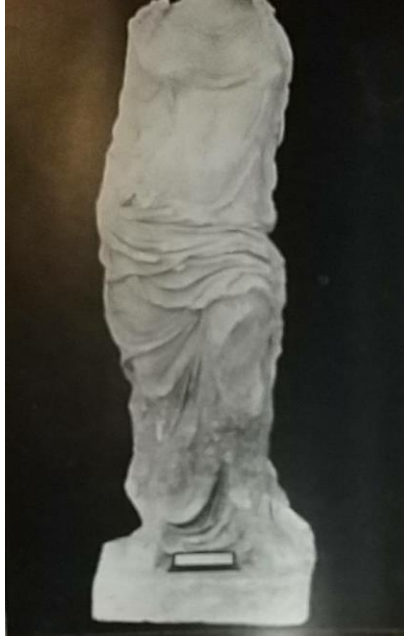
الشكل(1): تمثال ربة السعادة لمدينة أنطاكية (انظر: سليم عادل عبد الحق: الفن الإغريقي وأثاره المشهورة في الشرق، مطبعة الترقى، دمشق، 1950، اللوح38)



الشكل(2): تمثال أفروديت وبان وإيروس، وجد في غرفة من بناء شيده التجار السوريون في مدينة(ديلوس) محفوظ في متحف أثينا الوطني(انظر: سليم عادل عبد الحق، الفن الإغريقي وأثاره المشهورة في الشرق، اللوح41).



الشكل (3): تمثال أفروديت وهي تضع قدمها على ظهر سلحفاة وجد في دورا أوروبوس (انظر: سليم عادل عبد الحق، الفن الإغريقي وأثاره المشهورة في الشرق، اللوح 41)



الشكل (4) تمثال ذات الرداء المبتل وجد في اللاذقية (انظر سليم عادل عبد الحق: كنوز متحف دمشق الوطني اللوح 39)



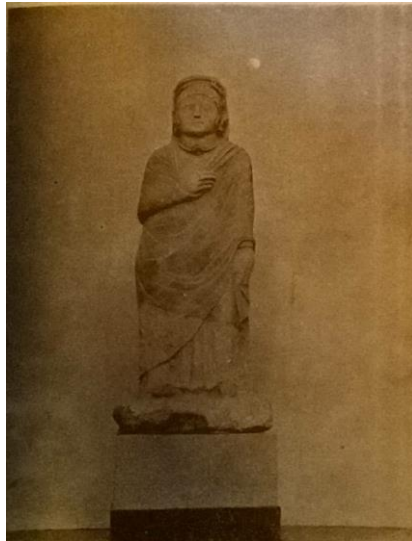
الشكل (5): مقدمة تابوت عليه مشهد بيسيته وإيروس ( انظر بشير زهدي: الفن الهلنستي والروماني في سورية، ص 74)



الشكل (6): تمثال بيسيته من المرمر وجد في حفريات أفاميا محفوظ في متحف دمشق (انظر: سليم عادل عبد الحق: الفن الإغريقي وأثاره المشهورة في الشرق، اللوح 40)



الشكل(6): تمثال اسبازيا أو ألبينيسه. وجد خلال تنقيبات بعثة(انكولت) الدانيمركية في مدينة حماه (محموظ في متحف دمشق) (انظر: سليم عادل عبد الحق: الفن الإغريقي وآثاره المشهورة في الشرق، مطبعة الترقى ، دمشق، 1950، اللوح 17).



الشكل(6): حسناء حماه من العصر الهلنستي (انظر: بشير زهدي: الفن الهلنستي والروماني في سورية، دمشق، ص 70).

قائمة المصادر والمراجع :

أولاً : المصادر الكلاسيكية :

- 1) Ammianus Marcellinus: Tr, John C. Rolf L. C. L, 1972
- 2) Libanius, Antiochikos: Selected works, tr. A. F Norman. L.C.L, 1969.
- 3) Strabon: Geography. Tr: H.L JONES L.C.L 1966

ثانياً : المراجع الأجنبية :

- 1) Granger, J, d1990- The cities of Seleukid Syria, Oxford.

رابعاً: المراجع العربية :

1) داوودي، جلافليل، 1967 إنطاكية القديمة. ترجمة إبراهيم نصحي، القاهرة.

خامساً : المراجع العربية :

- 1) بهنسي، عفيف 1997-1998 تاريخ الفن والعمارة. ط6، منشورات جامعة دمشق.
- 2) زهدي، بشير، د.ت الفن الهلنستي والروماني في سورية، دمشق.
- 3) سارة، خليل، 2008-2009 تاريخ الوطن العربي في العصور الكلاسيكية، جامعة دمشق.
- 4) العابد، مفيد رائف، 1993م سورية في عصر السلوقيين، دار شمال للطباعة والنشر، دمشق.
- 5) عبد الحق، سليم عادل، 1959 كنوز متحف دمشق الوطني، مطبعة الترقى، دمشق.
- 6) عبد الحق، سليم عادل 1950 الفن الإغريقي وآثاره المشهورة في الشرق، مطبعة الترقى، دمشق.
- 7) فرح، أبو اليسر، 2002 الشرق الأدنى في العصرين الهلنستي والروماني، القاهرة.
- 8) كمال، حسن، 1998-1999م تاريخ الفن والعمارة من العصر الكلاسيكي حتى نهاية العصور الوسطى، ط5، منشورات جامعة دمشق.





# رعاية الأطفال الرُّضّع في العصر الرومانيّ (27 ق.م - 200م)

الدكتور محسن يوسف محمد

قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة البعث

2022م/

1443هـ

## ملخص البحث باللغة العربية

يتناول هذا البحث بالدراسة الرعاية التي أولاها الرومان لأطفالهم في مرحلة الرضاعة، خلال الفترة الزمنية بين عامي 27 ق.م - 200م. وبدأت رعاية الرضيع مع قطع الحبل السري وانفصاله جسدياً عن والدته، ثم تتابعت مراحل تلك الرعاية، فخضع الرضيع إلى تقييم أولي لصحته للحكم فيما إذا كان مؤهلاً للتربية أم لا. فإذا كان مؤهلاً للتربية قامت القابلة بإجراء الحمام الأول له، هذا الحمام الذي تضمن غسله وتديلج جسده بمكوّنات معينة مثل زيت الزيتون والملح، بالإضافة إلى تشكيل ملامحه بصورة مثالية. كما شملت رعاية الرضيع في العصر الروماني جوانب مهمّة؛ منها تقييطه عن طريق لفة بضامادات ناعمة لحماية جسده، ومنحه قواماً صحياً ومستقيماً. كما كان للحمام الدوري للرضيع طقوسه وإجراءاته التي أدركها الرومان وعكستها توصيات كبار الأطباء مثل جالينوس وسورانوس وروفوس الأفسوسي. وكان لغذاء الرضيع حضوره كأحد نواحي العناية به، إذ اعتمد الرضيع في المرحلة الأولى من حياته، التي استمرت خلال السبعة أشهر الأولى، على الحليب فقط، ليبدأ غذاءه بالتنوع بعد بزوغ أسنانه وقدرته على مضغ الطعام.

وعند بلوغ الرضيع الشهر السابع من حياته كان يمرّ بمرحلة فارقة تتمثل ببزوغ أسنانه بما رافقها من آلام. هذه الآلام تعامل معها الرومان بمراهم وأدوية سردتها المصادر التاريخية.

ومع بزوغ الأسنان وإدخال الأطعمة المتنوعة في غذاء الرضيع، يبدأ الأخير بمرحلة الفطام التدريجي التي استمرت أحياناً إلى نهاية عامه الثاني، وأحياناً أخرى إلى منتصف عامه الثالث أو أكثر بقليل.

وكغيره من بني البشر عانى الرضيع الروماني من أمراض شتى، كان أهمها التقرحات في فمه وجلده والتشوهات في مفاصله وعموده الفقري. وقد كان لتوصيات الأطباء الرومان حضورها في جميع نواحي رعاية الرضيع، فحاولوا، ما أمكنهم، تقديم خلاصة خبراتهم ومعارفهم للشعب الروماني وللإنسانية جمعاء؛ بغية الحفاظ على صحة الرضيع والخروج به سالماً من هذه المرحلة العُمرية الحساسة التي استمرت، وسطياً، طوال أول سنتين من حياته.

**كلمات مفتاحية:** الرضيع، الأطفال، الرومان، القابلة، المريية، رعاية، أبقراط، جالينوس، سورانوس، قماط، فطام.

## Infant Care in the Roman Period (27 BC – 200 AD)

### The search summary in English

This research deals with the study of the care that the Romans gave to their children in the infancy stage, during the time period between 27 BC - 200 AD. The care of the infant began with the cutting of the umbilical cord and its physical separation from its mother, then the stages of that care followed, and the infant was subjected to a preliminary assessment of his health to judge whether he was qualified for education or not. If he was qualified for education, the midwife performed his first bath, which included washing him and massaging his body with certain ingredients such as olive oil and salt, in addition to shaping his features perfectly.

The care of the infant in the Roman era also included important aspects; Including swaddling him by wrapping him in soft bandages to protect his body, and give him a healthy and straight texture. The periodic bath of the infant also had its rituals and procedures that the Romans realized and were reflected in the recommendations of great doctors such as Galen, Soranus, and Rufus of Ephesus.

The infant's food had its presence as one of the aspects of caring for it, as the infant in the first stage of his life, which lasted during the first seven months, depended on milk only, so that his food began to diversify after the emergence of his teeth and his ability to chew food.

And when the infant reached the seventh month of his life, he was going through a crucial stage represented by the eruption of his teeth, with the accompanying pain. The Romans dealt with these pains with ointments and medicines listed by historical sources. With the eruption of the teeth and the introduction of various foods into the infant's diet, the latter begins the phase of gradual weaning, which sometimes continued until the end of his second year, and sometimes until the middle of his third year or a little more.

Like other human beings, the Roman infant suffered from various

diseases, the most important of which were ulcers in his mouth and skin, and deformities in his joints and spine. The recommendations of the Roman doctors had a presence in all aspects of the care of the infant, so they tried, as much as they could, to present a summary of their experiences and knowledge to the Roman people and to all of humanity; In order to preserve the health of the infant and to bring him out safely from this sensitive age stage, which lasted, on average, for the first two years of his life.

**Keywords:** infant, children, Romans, midwife, nanny, care, Hippocrates, Galen, Soranus, swaddling, weaning.

### مخطط البحث\*

مقدمة:

المتن؛ ويتضمن:

أولاً: مفهوم الطفل الرضيع في العصر الروماني.

ثانياً: لمحة عن حمل المرأة والولادة في العصر الروماني.

ثالثاً: رعاية الطفل الرضيع في اليوم الأول من ولادته.

1- كيفية التعرف على الرضيع الذي يستحق التربية.

2- قطع حبل السرة.

3- الحمام الأول للرضيع.

رابعاً- تشكيل جسد الرضيع.

خامساً- قماط الرضيع.

1- الهدف من القماط.

2- طريقة لفّ القماط.

3- توقيت وطريقة التخلص النهائي من القماط.

\* أفكار البحث واسعة ومتشعبة؛ لذلك، ولإعطاء الموضوع حقه من الدراسة، ومن باب الأمانة العلمية، كان لا بدّ من معالجة جميع الجوانب معالجة أكاديمية وافية. وهذه المعالجة هي التي فرضت أن يكون المتن موسعاً بعض الشيء، إذ تكوّن من (41) صفحة ذات القطع المتوسط.

سادساً: حمام الرضيع.

سابعاً: تغذية الرضع.

1- الرضاعة.

2- الغذاء العادي المُتداخِل مع الرضاعة.

ثامناً: بكاء الرضيع، وطُرق التعامل معه.

تاسعاً: كيفية التعامل مع بزوغ أسنان الرضيع (التسنين).

عاشراً: نماذج من أمراض الرضع، وطُرق معالجتها.

1- تقرحات الفم (القلاع).

أ- وصف القلاع.

ب- علاج القلاع.

2- التهاب الجلد (السماط).

3- تشوهات الأطراف والعمود الفقري والصدر.

حادئ عشر: فطام الرضيع.

خاتمة.

مقدمة:

تُعتبر رعاية الطفل الرضيع من أصعب المهام التي تواجهها الأسرة، إذ يحتاج الرضع إلى عناية تشمل مأكُلهم، وحمامهم، وملبسهم، ونومهم، وصحتهم بشكل عام. وضروبُ العناية هذه تفرض على الأسرة التعامل مع كائنٍ لا يملك، باستثناء البكاء، أيّة وسيلة للتعبير عن حاجاته ورغباته وأوجاعه. وأصدق تعبير عن خصوصية الرضع وتقردهم، هو ما أورده الفيلسوف أفلاطون (Plato) (427-347 ق.م)، حين قال، في كتابه القوانين: "من بين جميع الكائنات البرية، فإنّ الأطفال هم الأكثر استعصاءً على الفهم"، (1).

<sup>1</sup> Plato: Laws, VII, 808D.

كذلك: أفلاطون: القوانين، ترجمة: محمد حسن ظاظا، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986م، ص 346.

والحقيقة، أن الأطفال الرضع شكّلوا هاجساً حقيقياً للأسرة الرومانية، فهم، عدا عن كونهم زينة الحياة وأثمن ما تملكه الأسرة، فإنهم يُمثّلون شباب المستقبل وبالتالي العماد المستقبلي للجيش والإدارة والاقتصاد ولجميع نواحي حياة الدولة.

لقد أدرك الرومان أنّ الرضع يحتاجون إلى عناية خاصّة، بدليل أنّهم قرنوا بين جسد الرضيع وقطعة الشمع الطرية، كما ربطوا بين الرضع وبين الفئات العمرية الضعيفة من البشر، مثل كبار السنّ، فاعتبروا أنّ هناك قواسم مشتركة تجمع بينهما، فكلاهما ضعيف جسدياً، وذاكرته ضعيفة، ومزاجه منقلبٍ والتعامل معه صعب.

وإدراك الرومان لصعوبة التعامل مع الرضع ينعكس في الكمّ الكبير من التوصيات والإرشادات التي تركها كبار الأطباء، مثل أبقراط (Hippocrates) (حوالي 460 - 370 ق.م)، وجالينوس (Galen) (129 - 216م)، وسورانوس (Soranus) (حوالي 98 - 138م)، وروفوس الأفسوسي (Rufus of Ephesus) (70 - 110م). تلك التوصيات التي ساهمت في تقليل الصعاب التي كانت تواجهها الأسرة الرومانية خلال رعايتها للرضيع. مع التأكيد على أنّ قسم كبير من تلك التوصيات لا ينطبق على رعاية الرضع في العصر الروماني فقط، بل على رعاية الرضع في كل عصر وزمان. وهذا في الواقع، ليس بغريب، إذ أنّ عظماء الأطباء، مثل أبقراط وجالينوس، لم يكتبوا لعصرهم فقط، بل لجميع العصور، وللإنسانية جمعاء.

يشمل الإطار الزمني لهذا البحث الفترة بين 27 ق.م و 200م، وتمّ اختيار هذين العامين كبداية ونهاية للإطار الزمني، انطلاقاً من أنّ مستوى رعاية الرضع شهد خلال هذه الفترة طفرةً كبيرةً تنعكس، بوضوح، في أنّ معظم المصادر الطبية التي عالجت هذا الموضوع، مثل جالينوس وسورانوس وروفوس الأفسوسي، تعود إلى الفترة المحصورة بين هذين العامين. وهو ما يُشير إلى أنّ المجتمع الروماني طوّر أدواته ونظريته إلى رعاية الرضع. أضف إلى أنّ هذه الفترة تُشير إلى ذروة السلام الروماني (Romanus Pax) الذي ترافق، ولاشكّ، مع رفاهية انعكست على كل نواحي الحياة بما فيها رعاية الأطفال الرضع. أمّا الإطار المكانيّ فيشمل الإمبراطورية الرومانية بحدودها المعروفة من نهر الفرات شرقاً إلى بريطانيا غرباً، ومن مصر جنوباً إلى بحر البلطيق شمالاً.

وُقِسِّمَ البحث إلى أفكار أساسية حاولت معالجة أهم جوانب رعاية الرُّضْع من خلال ما قدّمته المصادر الأدبية والأثرية من معلومات بهذا الخصوص.

#### - مشكلة الدراسة:

يضع التعامل مع موضوع، كـرعاية الأطفال الرُّضْع، أمام الباحث مشكلات أساسية تطويها تساؤلات مهمّة ينبغي الإجابة عليها. تلك التساؤلات تتلخّص في: ماذا يعني مصطلح الرضيع، وما هو الإطار الزمني لهذا المصطلح؟ وما هي الجوانب التي شملها رعاية الرُّضْع؟ ومن قام بالدور الأول في رعاية الرضيع؟ وكيف استقبل الرومان الطفل الرضيع في أول يوم من حياته؟ وماهي طرق الرومان في التعامل مع أمراض الرضيع؟ وكيف ساهمت توصيات الأطباء الرومان في تكوين صورة متكاملة عن رعاية الرُّضْع؟ وما هو المكان الذي حجزته الرضاعة الطبيعية داخل المجتمع الرومانيّة؟ وكيف تعاملت الأسرة الرومانية مع مرحلة الفطام؟ وكيف نظرت المصادر الأدبية إلى الرضاعة الطبيعية؟ وهل أخذ الرومان بنصائح وتوصيات الأطباء بخصوص الطُّرق المثلى لرعاية أطفالهم؟ وكيف ساهمت الدراسات الأثرية في تأكيد ما جاء في المصادر الأدبية بخصوص رعاية الرُّضْع؟. وغيرها من التساؤلات التي تحتاج إلى إجابات أكاديمية وافية للوصول إلى بحثٍ علميٍّ متكاملٍ.

#### - هدف الدراسة:

يُشكّل رعاية الأطفال الرُّضْع موضوعاً حسّاساً يُلامس مشاعر وأحاسيس كل شخص، وبالرغم من أهميّة هذا الموضوع، إلا أنّه لم ينل حقه من الدراسة، وبقي كمّ كبير من المعلومات الخاصّة به حبيسةً بين سطور المصادر التاريخية. ممّا جعل المكتبة العربية، لا بلّ الأجنبية أيضاً، تفتقر إلى أبحاث أكاديمية تُعالج موضوع "رعاية الرُّضْع في العصر الروماني"؛ لذلك فإنّ هذا البحث يهدف إلى أن يكون إضافة علميّة جديدة، وأنّ يُقدّم للباحثين في مجال التاريخ الروماني مادّة علميّة أوليّة تُمكنهم من صياغة رسالة أو أطروحة أكاديمية عن هذا الموضوع الذي يستحقّ تضمينه في رسالة علميّة شاملة.

كما تهدف هذه الدراسة إلى نفي النظرية العلمية التي أوردها بعض الباحثين الغربيين، والتي ترى أن الرومان لم يكونوا يُولون أطفالهم الاهتمام الكافي، وأنهم كانوا يحاولون البقاء بعيدين عنهم خلال فترة الرضاعة حتى لا يتعلّقوا بهم، فيعانون، بالتالي، حال موتهم المُبكر.

#### - أهمية الدراسة:

يشتمل تاريخ الإمبراطورية الرومانية على جوانب عدّة سياسيّة وحضاريّة. وتُشكّل الجوانب الحضارية الجانب الأهمّ في دراسة التاريخ، ذلك أنّها تعكس الصورة الحقيقيّة للمجتمع وعلاقات الأفراد بعضهم ببعض.

وعلى اعتبار أنّ الرضع هم أفراد داخل المجتمع؛ لذلك فإنّ دراسة الرعاية التي أوّلاها الرومان لهم يُعتبر موضوعاً بالغ الأهمية في دراسة التاريخ الحضاري للإمبراطورية الرومانية، إذ يغدو التاريخ، في هذا النوع من المواضيع، بوتقة ينهصر فيها الطبّ والتربية وتنظيم الأسرة، والدين، والأخلاق، وغيرها من الجوانب. كما تُظهر أهميّة هذه الدراسة في توضيح المستوى العالي الذي بلغه الطبّ الروماني الذي خطا خطوات كبيرة نحو الطبّ التجريبيّ القائم على الملاحظة، والرفض لعلاقة العادات الموروثة والآلهة الوثنيّة بصحة الإنسان وحياته بشكل عامّ.

#### - منهج الدراسة:

عمد الباحث إلى اعتماد المنهجين التحليلي والوصفي في آن واحد. واعتماد هذين المنهجين جاء بناءً على أنّ جميع المعلومات، التي بُني عليها هذا البحث، مُستمدّة من المصادر الأدبية والأثرية؛ لذلك كان لا بدّ من عرض معلومات المصادر الأدبيّة وتحليلها بغية تقديمها بطريقة علميّة مُبسّطة بعيدة عن الركاكة التي تحتويها تلك المصادر أحياناً. كما توجّب دراسة ووصف ما جاء في المصادر الأثرية من منحوتات ومشاهد بما يخدم الهدف الأساسي للبحث. والمنهج الوصفيّ سيقفّ عليه القارئ، بشكل خاصّ، خلال دراسة صور المنحوتات التي جرى تسخيرها خدمةً لهذا البحث.

#### - مصادر الدراسة:

من البديهي القول، أنّه لا يُمكن لأيّ بحث أكاديمي أن يرى النور دون الاعتماد على مصادر ذات صلة وثيقة بموضوعه. وهذا البحث لا يختلف عن غيره من الأبحاث



الأكاديمية الخاصة بالتاريخ القديم. إذ اعتمد على نوعين من المصادر: النوع الأول، وهو المصادر الأدبية أو الكتابية. وتتميز المصادر الأدبية لهذا البحث، في أنها تضم مصادر طبية، وشملت كتابات كبار الأطباء. ومصادر غير طبية وشملت كتابات فلاسفة وأدباء وأحياناً نحويين.

وعلى اعتبار أنّ الإطارَ الزمنيّ لهذا البحث يبدأ مع أواخر القرن الأول قبل الميلاد وينتهي مع نهاية القرن الثاني الميلاديّ؛ لذلك فإنّ أغلب مصادره كانت باللغتين اليونانية واللاتينية.

وسيالاحظ القارئ أنّ البحث اعتمد على مصادر يونانية من خارج الإطار الزمنيّ لهذا البحث، منها كتابات أرسطو (Aristotle) (384-322 ق.م)، وأفلاطون، وأبقراط. وجاء الاعتماد على تلك المصادر اليونانية بسبب التداخل الكبير في المعلومات بين المصادر القديمة، أضف إلى أنّ جميع الأطباء اليونان الذين عاشوا في العصر الرومانيّ، اعتمدوا في كتاباتهم على ما أورده أبو الطبّ "أبقراط". وهنا لابدّ من التنويه إلى أنّ البحث اعتمد على بعض المصادر العربية الإسلامية التي تضمّنت فقرات كاملة من أقوال الأطباء اليونان والرومان.

والحقيقة، أنّ المصدر الأول الذي اعتمدت عليه هذه الدراسة، كان الطبيب اليونانيّ سورانوس الذي وضع كتاباً مهماً عن أمراض النساء ورعاية الرضّع في العصر الرومانيّ، وهذا الكتاب موسوم بعنوان "طبّ النساء (Gynecology)".

أمّا المصدر الثاني لهذه الدراسة، فكان الطبيب اليوناني جالينوس الذي ألف عدداً كبيراً من الكتب الطبيّة. ولكنّ جالينوس لم يكتب مؤلفاً خاصاً عن الأطفال الرضّع، إنّما ضمّن معلوماته عنهم في مختلف كتبه. وقد أفرد جالينوس في كتابه الموسوم بعنوان " (في المحافظة على النظافة) (On preserving health) ) فصلاً كاملاً عن رعاية الأطفال الذين رضعوا رضاعة طبيعية حتى السنة الثالثة من حياتهم. كما ضمّن معلومات مهمّة عن الرضّع في كتب أخرى، منها كتابه الموسوم بعنوان " (في تركيب الأدوية حسب الأماكن) (On the compounding of drugs according to places).

المصدر الثالث المهم الذي اعتمدت عليه هذه الدراسة، كان الطبيب اليوناني روفوس الأفسوسي الذي وضع كتاباً بعنوان "في رعاية الطفل الصغير" (On the care of the small child). ولكن هذا الكتاب فُقد، مع الأسف، وبقي منه شذرات في كتابات أطباء لاحقين، أهمهم كان الطبيب المشهور باسم البلدي (ت حوالي سنة 380هـ/ 990م)<sup>(1)</sup> الذي وضع كتاباً بعنوان "تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم". ومن الواضح من خلال الدراسة الشاملة لهذا الكتاب، ومن خلال مقارنة توصياته الطبيّة مع توصيات الأطباء اليونان والرومان، أنّ ابن البلدي نقل معظم معلوماته عن هؤلاء الأطباء. وقد أشار أحياناً إلى فضلهم، فكان يُورد "وقال أبقرات"، "وقال جالينوس"، "وقال روفوس". ولكنّه في أحيانٍ كثيرة طمس أسمائهم بعدم ذكره أنّهم المصدر الحقيقي لمعلوماته.

كما أورد الطبيب الأندلسي عريب بن سعيد (ت حوالي سنة 369هـ/ 979م)<sup>(2)</sup> في كتابه، الموسوم بعنوان "كتاب خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين"، بعض الاقتباسات عن الأطباء اليونان ولاسيما أبقرات وجالينوس.

1 هو الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن يحيى البلدي. وُلد في مدينة بلد ( بلط )، وهي مدينة أسكي، القريبة من مدينة الموصل العراقية. لا يُعرف تاريخ ولادته بالتحديد، ولم تذكر المصادر القديمة تاريخ وفاته. بينما تذكر المراجع الحديثة بأنه توفي حوالي سنة 380 هـ/ 990م. تلقى البلدي دراسته الأولية في مدينته بلد ثم انتقل إلى الموصل، وفيها أكمل دراسته وتلقى دروس الطب. ثم انتقل إلى مصر والتقى بالوزير أبي الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس (ت 380هـ/ 991م)، وزير الخليفة الفاطمي المعز لدين الله (ت 365هـ/ 975م)، وألف له (أي للوزير) كتابه (تدبير الحبالى والأطفال والصبيان....) حوالي سنة 368هـ/ 978م. وبقي وعاش بقية حياته في القاهرة يُدرّس الطب ويعالج المرضى حتى وفاته. انظر: كعدان، عبد الناصر و السيد علي، محمد نور: مراحل تخلّق الجنين ونظريات الحمل في الحضارة العربية الإسلامية، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، بدون تاريخ، ص 6.

2 ذُكر أيضاً باسم عريب بن سعد، وغريب بن سعيد. ولكن الأصح هو عريب بن سعيد. هو مؤرّخ وطبيب أندلسي. وُلد في مدينة قرطبة في الأندلس، ولكن تاريخ ولادته، المضبوط، غير معروف. كان عريب معاصراً لخليفة بني أمية في الأندلس، عبد الرحمن الناصر (ت 277 هـ/ 961م)، الذي ولّاه كورة أشنونة. كما قرّبه الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر (ت 392هـ/ 1002م) الذي أوكل إليه مهمة "خازن السلاح". لعريب العديد من المؤلفات في التاريخ والطب، منها "اختصار تاريخ الطبري"، و "تقويم تاريخ قرطبة"، و كتاب خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين. انظر: جاسم السامرائي، بهاء أحمد: الأثر الطبي للمرأة الحامل عند أطباء الأندلس في القرن الرابع الهجري -عريب بن سعيد القرطبي، وكتابه خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين- أتمودجاً، Route Educational & Social Science Journal ، المجلد 6(3)، شباط، 2019م، ص 225، 226.

ويجب التنويه هنا، إلى أنه عندما يُذكر توثيق " البلدي " أو " عريب بن سعيد " في الهوامش الموجودة في هذا البحث، فالمقصود عندئذ ما أورده من أقوال الأطباء اليونان، أي يكون حينها الطبيب اليوناني هو مصدر المعلومة، وليس البلدي أو عريب بن سعيد. أمّا النوع الثاني من مصادر هذه الدراسة، فهو المصادر الأثرية، وتُعنى هذه المصادر بآخر ما توصلت إليه الأبحاث الأثرية من معلومات تخصّ المجتمع والأسرة في العصر الروماني. وتأتي أهمية هذه المصادر من تأكدها لبعض المعلومات الواردة في المصادر الأدبية من ناحية، وتقديمها لمعلومات جديدة من ناحية أخرى. وقد حاول البحث الاعتماد على جديد الأبحاث الأثرية التي تمت في القرن الحادي والعشرين بشكل خاص على اعتبار أنها تمت بتقنيات علم الآثار الحديثة، وأضافت معلومات مهمة لم تكن متوفرة في السنوات السابقة.

#### - الدراسات السابقة، وجديد هذه الدراسة:

بالرغم من أهمية موضوع " رعاية الأطفال الرضع في العصر الروماني"، إلا أنه لم ينل حقه من الدراسة، إذ لم يسبق أن عُولج في أيّ بحث مُستقلّ باللغة العربية. أمّا في الدراسات الأجنبية فكانت المعلومات بخصوصه متفرقة بين مختلف تلك الدراسات. أيّ لم يقف الباحث على أيّ بحث أو كتاب يُعالج هذا العنوان بوضوح في أهمّ اللغات الأجنبية مثل الإنكليزية والفرنسية والألمانية وحتى الإيطالية والإسبانية. وقد أشار بعض العلماء الغربيين صراحةً إلى أنّ هذا الموضوع لم ينل حقه من الدراسة، وأنه يحتاج إلى دراسة معمّقة مازالت قيد الانتظار<sup>(1)</sup>.

ولكنّ هذا لا يعني أنّ بعض الدراسات الأجنبية قد تضمّنت فقرات مهمة بخصوص رعاية الرضع في العصر الروماني. ولعلّ أهمّ العلماء الذين عالجوا بعضاً من جوانب هذا الموضوع، باللغتين الفرنسية والإنكليزية، كان المؤرّخة وعالمة الآثار السويسرية فيرونيك داسن (Véronique Dasen) التي كتبت كمّ كبير من المقالات البحثية عن الأسرة والطفولة في روما. كما كتبت المؤرّخة وعالمة الآثار البريطانية مورين

<sup>1</sup> بخصوص آراء الباحثين الغربيين المتعلّقة بالصعوبات التي تعترض دراسة موضوع " رعاية الرضع في العصر الروماني"، انظر:

Harlow. M And Laurence. R: Growing Up And Growing Old In Ancient Rome " A Life Course Approach " , Routledge, London and New York, 2002, pp 34, 35.

كارول (Maureen Carroll) مؤلفاً قيماً بحثت في الطفولة المبكرة في الإمبراطورية الرومانية من خلال نتائج الأبحاث الأثرية. كذلك وضعت المؤرخة الأسترالية بيريل راوسون (Beryl Rawson) كتاباً مهماً عن الأطفال والطفولة في إيطاليا الرومانية. ولكن من خلال دراسة الإنتاج العلمي لهؤلاء الأساتذة<sup>(1)</sup>، فإن القارئ يلاحظ أنهم لم يعالجوا إلا جوانب يسيرة من رعاية الرضع، وهي، تقريباً، جوانب مشتركة بينهم جميعاً، في حين بقيت باقي الجوانب مُبهمة وغامضة.

بناءً عليه، فإن هذا البحث سيحاول، من خلال دراسة المصادر والمراجع المتوفرة، أن يُقدّم إضافة جديدة في دراسة التاريخ الحضاري لروما بشكل عام، ولتاريخ الأسرة الرومانية بشكل خاص، من خلال معالجة جميع الجوانب المتعلقة برعاية الطفل الرضيع، من لحظة ولادته مروراً برضاعته وبزوغ أسنانه، وصولاً إلى فطامه.

#### أولاً: مفهوم الطفل الرضيع في العصر الروماني:

أوضح جالينوس بأن مصطلح "الرضيع" يُشير إلى الطفل الذي يعتمد في غذائه على أمّه، أو على أيّة مُرضعة أخرى، أو على أيّ نوع من أنواع الرضاعة طبيعياً كان أم صناعياً<sup>(2)</sup>. وهذا التوضيح الذي أورده جالينوس لا جدال حوله. لكن الخلاف في المصادر الأدبية كان حول المدّة الزمنية التي يُطلق فيها على الطفل مصطلح "الرضيع". والحقيقة، أنّ خلاف المصادر في تحديد الإطار الزمني لمصطلح الرضيع، يعود إلى تضارب الآراء بخصوص الوقت الأنسب لفطام الطفل، أي قطعه عن الحليب واعتماده بشكل كامل على الطعام العادي كباقي الفئات العمرية الأخرى. فيبدو من خلال كتابات جالينوس، أنّ مصطلح الرضيع يبدأ مع ولادة الطفل وينتهي في السنة الثانية، وأحياناً في السنة الثالثة من حياته، بدليل أنّ جالينوس خصّص فصلاً كاملاً من كتابه "في المحافظة عن النظافة" للأطفال الذين رضعوا رضاعة طبيعية حتى سنّ الثالثة من حياتهم<sup>(3)</sup>. أمّا عند روفوس الأفسوسي، فيبدو أنّ مصطلح الرضيع، يبدأ مع ولادة الطفل

<sup>1</sup> للوقوف على التوثيق الكامل للدراسات السابقة، انظر قائمة المراجع في نهاية البحث.

<sup>2</sup> Galen: On the compounding of drugs according to places, VI, 9.

<sup>3</sup> Galen: On preserving health, I, 9.

وينتهي مع نهاية السنة الثانية أو منتصف السنة الثالثة من حياته. وهذا التحديد يبدو من خلال عرض روفوس للوقت الأنسب للفظام<sup>(1)</sup>.

الطبيب اليوناني سورانوس، من ناحيته لم يُحدّد موعداً ثابتاً للفظام، إذ ترك لأهل الرضيع أو القائمين على رعايته تحديد الموعد الأمثل لفظامه. ولكنّه وضع شروطاً وضوابط<sup>(2)</sup> يتم على أساسها الفظام. ومن خلال تلك الشروط يُمكن الاستدلال أنّ مصطلح الرضيع، عند سورانوس، قد يفارق الطفل في الشهر السابع، وقد يستمرّ معه حتى نهاية السنة الثانية من حياته<sup>(3)</sup>.

ومن الأهمية بمكان القول، أنّ أبقراط لم يحدّد الإطار الزمني لمصطلح الرضيع بناءً على توقيت الفظام، بل رأى أنّ بزوغ أسنان الرضيع، في الشهر السابع، تقريباً، يُعتبر هو النقطة الانتقالية بين الرضاعة والفظام. أي أنّ الإطار الزمني لمصطلح الرضيع، عند أبقراط، ينتهي، تقريباً، في الشهر السابع من حياته<sup>(4)</sup>.

أمّا الطبيب اليوناني كيلسوس (Celsus) (25 ق.م - 50م) فأخذ بنظرية أبقراط، السالفة الذكر، والتي تقول أنّ بزوغ أسنان الرضيع، في حوالي الشهر السابع، تُعتبر هي النقطة الانتقالية بين الرضاعة والفظام<sup>(5)</sup>.

وبناءً على ما سبق، فإنّه يُمكن القول، أنّ مصطلح الطفل الرضيع يشمل، وسيطياً، أول عامين من حياة الطفل، مع التنويه إلى أنّ غذاء الرضيع، بعد الشهر السابع تقريباً، أي بعد بزوغ أسنانه، يبدأ بالتنوع ليشمل، إلى جانب الرضاعة، أطعمة محددة سيجري دراستها في مكانها المناسب من هذا البحث<sup>(6)</sup>.

وفيما يلي جدول توضيحي لآراء الأطباء اليونان بخصوص الإطار الزمني لمصطلح الرضيع:

المصدر	الإطار الزمني لمصطلح الرضيع	الطبيب
--------	-----------------------------	--------

<sup>1</sup> Rufus, in Oribasius: Liber incertus, Collectiones medicae, XIV. ; XX, 23. ; VII, 12.

<sup>2</sup> هذه الشروط والضوابط التي وضعها سورانوس لفظام الرضيع، جرى معالجتها في الفقرة الأخيرة من متن هذا البحث. انظر الصفحات (48، 49، 50) من هذا البحث.

<sup>3</sup> Soranus: Gynecology, II, 21, 46.

<sup>4</sup> Galen: On Hippocrates, Aphorisms, III, 24- 26.

<sup>5</sup> Celsus: Om Medicine, II, 1, 18- 20.

<sup>6</sup> انظر الصفحات (36- 37) من هذا البحث.

		اليوناني
On Hippocrates Aphorisms	يبدأ مع ولادة الرضيع، وينتهي في الشهر السابع من حياته	أبقراط
On preserving health	يبدأ مع ولادة الرضيع، وينتهي مع نهاية السنة الثانية أو الثالثة من حياته	جالينوس
Gynecology	يبدأ مع ولادة الرضيع، وقد ينتهي في الشهر السابع أو في مدة غير محددة من السنة الأولى أو من السنة الثانية من حياته	سورانوس
Rufus, in Oribasius: Liber incertus, Collectiones medicae	يبدأ مع ولادة الرضيع، وينتهي مع نهاية السنة الثانية أو منتصف السنة الثالثة من حياته	روفوس الأفسوسي
Om Medicine	يبدأ مع ولادة الرضيع، وينتهي في الشهر السابع من حياته	كيلسوس

هذا بالنسبة إلى تعريف مصطلح الرضيع، والمدة الزمنية التي يرافق فيها هذا التعريف الطفل. أما بالنسبة لمفهوم الرضيع باللغتين اللاتينية واليونانية، وهما لغتا المصادر الأدبية، فتعددت، أيضاً، المصطلحات التي استخدمت للتعبير عن الرضيع، إذ استخدم المصطلحان اللاتينيان "الرضيع (infans)"، و "الطفولة (infantia)"، وهما مشتقان من عدم قدرة الفرد على الكلام<sup>(1)</sup>. ومن هذا المصطلح اللاتيني جاء اسم الرضيع (Infant) في اللغة الإنكليزية الحالية ويعني الطفل دون سنّ السنتين<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> Rawson. B: Children and Childhood in Roman Italy, Oxford University Press, Oxford, 2003, p140. ; Harlow. M And Laurence. R; op, cit, p 37.

<sup>2</sup> Bagley. A. M: Roman Children In The Early Empire: A Distinct Epidemiological And Therapeutic Category?, A Thesis Submitted To The University Of Birmingham For The Degree Of Doctor Of Philosophy, University Of Birmingham, 2016, p46.

كما شاع استخدام مصطلحي (bimus)، و (bimulus)، وهما يشيران إلى بلوغ الفرد السنين من عمره، للدلالة على الأطفال الرضع أيضاً<sup>(1)</sup>. واستخدم هذا المصطلح من قبل المؤرخ الروماني سويتونيوس (Suetonius) (69-140م) في إطار حديثه عن طفولة الإمبراطور غايوس كاليغولا (Gaius Caligula) (37-41م)<sup>(2)</sup>. كما لوحظ استخدام هذين المصطلحين، بكثرة، على شواهد القبور للأطفال الذين ماتوا في الثانية من عمرهم<sup>(3)</sup>. واستخدم في عهد الإمبراطور أوغسطس (Augustus) (27 ق.م- 14م)، مصطلح (annuclus)، للإشارة إلى الطفل في السنة الأولى من حياته<sup>(4)</sup>. ومصطلح (puer bimulus) للإشارة إلى الطفل في السنة الثانية من حياته<sup>(5)</sup>.

أما في اللغة اليونانية، فاستخدم، أحياناً، مصطلح (νήπιον) للدلالة على الطفل الرضيع<sup>(6)</sup>. كما يُلاحظ أنّ سورانوس استخدم، في أغلب الأحيان، مصطلح (βρέφος) اليوناني في أغلب كتاباته للإشارة إلى الطفل الرضيع<sup>(7)</sup>. وعند ترجمة هذين المصطلحين من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية فإنهما يؤديان معنى الرضيع أيضاً. ويُلاحظ أنّ هذه المصطلحات اللغوية تُشير، في معظمها، إلى مرحلة عُمرية واحدة وهي الفترة بين ولادة الطفل ونهاية السنة الثانية من حياته، وبالتالي فإنها تتقارب مع المفهوم الذي كونه الأطباء الرومان عن الرضيع وتوقيت فطامه. ثانياً: لمحة عن حنّ المرأة والولادة في العصر الروماني:

<sup>1</sup> فارس، دعاس: مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب القديم (من بداية العصور التاريخية إلى نهاية الاحتلال الروماني لبلاد المغرب)، أطروحة دكتوراه، بإشراف: محمد رشدي جرابه، جامعة الشهيد حمّه لخضر الوادي، الجزائر، 2021/2020م، ص 156، 177.

<sup>2</sup> Suetonius: Lives of the Caesars, Caligula, VIII, 8.

<sup>3</sup> Corpus Inscriptionum Latinarum, VI, 5861. ; VI, 6031.

<sup>4</sup> Dasen. V: Roman Childhood Revisited, In: Children In Antiquity Perspectives And Experiences Of Childhood In The Ancient Mediterranean, Edited by: Beaumont. L. A, Dillon. M, Harrington, Routledge, New York, 2021, p 107.

<sup>5</sup> Dasen. V: Childbirth And Infancy In Greek And Roman Antiquity, In: A Companion To Families In The Greek And Roman Worlds, Edited by: Beryl Rawson, Blackwell Publishing Ltd, Oxford, 2011, p 292.

<sup>6</sup> Bagley. A. M: op, cit, p 46.

<sup>7</sup> Soranus: Gynecology, II, 13- 14.

لا يمكن للبحث الأكاديمي أن يفصل بين رعاية الطفل الرضيع وبين رعاية المرأة وجنينها خلال فترة الحمل والولادة وذلك للتكامل بينهما. لذلك، وبهدف تكوين صورة متكاملة لرعاية الرضع، سيتم هنا تقديم لمحة موجزة عن تصور الرومان لحمل المرأة ومراحلها وكيفية تشكّل الجنين والتصور العام لعملية الولادة.

يبدو من خلال دراسة النصوص الطبيّة اليونانية والرومانية أنّ الرومان كان لديهم وعي مهم بمراحل تطور الجنين في رحم أمّه، إذ نظر الأطباء إلى فترة الحمل باعتبارها جزء من مسار حياة الفرد<sup>(1)</sup>. وقسم أبقراط فترة الحمل إلى مراحل متعاقبة كلّ منها أربعون يوماً. وشكّلت الفترة الأولى، وهي مرحلة تثبيت البويضة في الرحم، المرحلة الأكثر خطورة في حياة الجنين، على اعتبار أنّ خطر الإصابة بالإجهاض<sup>(2)</sup> خلال

<sup>1</sup> Carroll. M: *Infancy and Earliest Childhood in the Roman World*, Oxford University Press, Oxford, 2018, p 51.

<sup>2</sup> حفظت المصادر الأدبية معلومات مهمّة عن الإجهاض، مما يدلّ على أنّه كان منتشرًا في العصرين اليوناني والروماني. ومن خلال دراسة تلك المصادر، يمكن القول، أنّ الإجهاض كان على نوعين. النوع الأوّل إجهاض غير مقصود، ويحدث نتيجة عوامل خارجة عن سيطرة المرأة، مثل تعرّضها لمرض ما أو حادثة ما، أو حتّى قيامها بمجهود يفوق طاقتها. وهذا النوع هو الذي دفع الأطباء الرومان لكتابة نصائحهم وإرشاداتهم وتوجيهها إلى المرأة الحامل وإلى نوبيها، علّمهم في ذلك يساعدون على الوقاية منه أو التخفيف من حدوثة على الأقلّ. وهذا النوع كان منتشرًا، بشكل خاصّ، بين النساء صغيرات السنّ وعديمات الخبرة، على حدّ تعبير العالم الروماني بلييني الأصغر (Pliny the Younger) (61-112م). أمّا النوع الثاني من الإجهاض، فكان الإجهاض المتعمّد. وهذا النوع كانت تلجأ إليه العديد من النسوة الرومانيات غير الراغبات بالإنجاب، بهدف الحفاظ على مظهرهنّ وأسلوب حياتهنّ غير المقيد بقيود الحمل ورعاية الأطفال. والحقيقة، أنّ النوع الثاني كان ينتشر، بشكل خاصّ، بين نساء الطبقة الثريّة. ويبدو أنّه كان منتشرًا بقوة لدرجة أنّ الحكومة الرومانيّة، أصدرت قرارًا، بين عاميّ 193-217م، يُجرّم الإجهاض المتعمّد ويعاقب المرأة التي تُجهض، دون علم زوجها، بعقوبات قاسية كانت تصل إلى النفي.

ويُمكن لمن يرغب بالاستزادة عن موضوع الإجهاض في العصر الروماني، أن يُراجع من المصادر الأدبية:

Hippocrates: *The Eight Month Child*, IV, 7, 9.

Hippocrates: *On the Diseases of Women*, I, 25.

Pliny the Younger: *Letters*, VIII, 10 -11.

Soranus: *Gynecology*, I, 14, 46. I, 26, 54- 56. I, 47.

Plutarch: *Roman Lives" A Selection of Eight Roman Lives"*, XXII.

Juvenal: *Satires*, VI, 592.

أمّا من المراجع الحديثة، فيمكن الاطلاع على:

فارس، دعاس: *مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب القديم*، ص 181، 182. ؛

Filippini. N. M: *Generare, Partorire, Nascere: Una Storia Dall'antichità Alla Provetta*, Roma, 2017, pp 77, 78.



الأربعين يوماً الأولى يكون قوياً. وفي وقت لاحق يبدأ الجنين يأخذ شكل الإنسان ويبدأ عندئذ بالحركة<sup>(1)</sup>.

واللافت للانتباه، أنّ أبقراط أورد أنّ الجنين يبدأ يأخذ شكله الحقيقي، ويبدأ بالحركة، في الشهر الثالث بالنسبة للذكور، وفي الشهر الرابع بالنسبة للإناث<sup>(2)</sup>. ويُعلّل أبقراط هذا الاختلاف بضعف الأنثى وزيادة رطوبتها عن الذكر<sup>(3)</sup>. كما شاع في الطبّ اليوناني فكرة أنّ المرأة تُعاني خلال ولادتها إذا كان الجنين أنثى، أمّا إذا كان الجنين ذكر فتكون ولادتها سهلة<sup>(4)</sup>. وقد تُفسّر هذه الملاحظة الأخيرة سبب تمحور معظم حالات الولادات الصعبة، التي وصفها أبقراط، حول الإناث<sup>(5)</sup>.

Dupras. T. L and others: " Birth in Ancient Egypt: Timing, Trauma, and Triumph? Evidence from the Dakhleh Oasis, Egyptian Bio archaeology, Humans, Animals, and the Environment", Leiden: Sidestone Press, 2015, p 61- 63.  
Andreoli . A, e altri: Mater. Percorsi Simbolici Sulla Maternità, Roma, 2015, p 60.

Carroll. M: op, cit, p 52.

<sup>1</sup> Hippocrates: The Eight Month Child, IV, 7, 9.

<sup>2</sup> البلدي، أحمد بن محمد بن يحيى: تدبير الخبالي والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم، تحقيق: محمود الحاج قاسم محمد، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980م، ص 111، 112. ; ابن سعيد، عريب: خلق الجنين وتدبير الخبالي، ترجمه عن اللغة الفرنسية: نور الدين عبد القادر و هنري جاهيه، منشورات كلية الطب والصيدلة بالجزائر، مكتبة فرايبس، الجزائر، 1956م، ص 31.

<sup>3</sup> Hippocrates: On the Diseases of Women, I, 1.

وتعليل أبقراط هذا مُرتبط بنظريته عن تكوين الإنسان، والمشهورة باسم " نظرية الأخلاط الأربعة". وتقول هذه النظرية أنّ الإنسان مُكوّن من أربعة عناصر هي: الماء والهواء والتراب والنار، لذلك فإنّ الناس ينقسمون إلى أربعة أمزجة هي " الدموي والبلغمي والصفراوي والسوداوي". ولهذا يوجد في الإنسان أربع صفات هي: الحارّ، والبارد، والجافّ، والرطب. والأمراض بحسب هذه النظرية تحدث عندما ينشأ اختلال في توازن هذه الأخلاط وغلبة أحدها على الآخر. وهذه النظرية الأبقراطية أخذ بها جالينوس، وأضاف أنّ الأطفال ترتفع لديهم صفة الرطوبة، وشبّه الرُضّع بأنّهم كالربيع بين الفصول. انظر: كلاس، جوزيف: مسيرة الطبّ في الحضارات القديمة، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1995م، ص 196، 211. ؛ المعلوف، عيسى إسكندر: تاريخ الطبّ عند الأمم القديمة والحديثة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014م، ص 24، 25. ؛ كذلك:

Galen: On preserving health, I, 7.

<sup>4</sup> Filippini. N. M: op, cit, pp 105, 106.

<sup>5</sup> Salmaso. R: 'Αρετή e virtus al femminile. La gravidanza e il parto nell'arte greca-romana, Università Ca' Foscari, Venezia, 2020, p 32.

والحقيقة أنّ هذه النظرة الطبيّة تعكس تفريق واضح بين الذكر والأنثى. وهي تتطابق مع وجهة نظر الفيلسوف أرسطو، القائلة بضعف المرأة. لا بل أضاف أرسطو أنّ المرأة الحامل بذكر تكون قويّة وبشرتها جميلة ومُفعمة بالحياة، أمّا المرأة الحامل بأنثى فتكون ضعيفة وبشرتها قاتمة<sup>(1)</sup>.

على أيّة حال، في القسم الأخير من حمل المرأة، أي خلال الأربعين يوماً الأخيرة، يدخل الجنين في المرحلة الأكثر نشاطاً من وجوده داخل الرحم. وكان الرومان يحسبون فترة الحمل بالأشهر القمرية، حيث يُولد الرضيع المثالي المُكتمل في الشهر القمري العاشر من حمل المرأة، أي ما يعادل فترة تتراوح بين (38) و(40) أسبوع أو (9) أشهر في التقويم الميلادي<sup>(2)</sup>. مع ضرورة التنويه أنّ بعض النساء يلدّن في الشهر القمري الثامن (السابع الميلادي)، بمجموع فترة حمل تتراوح بين حوالي (182) إلى (204) أيام<sup>(3)</sup>. أمّا الأطفال المولدون قبل موعد الولادة، فلم يكن لديهم فرصة كبيرة للبقاء على قيد الحياة، هذا إنّ لم تكن فرصهم معدومة، على اعتبار أنّ الرومان لم يكن لديهم وسائل رعاية الخُدج الموجودة اليوم كالحاضنات مثلاً.

ومن الأهميّة بمكان القول، أنّ الأطباء الرومان أشاروا إلى أنّ تقسيم الحمل لفترات لا يرتبط بالجنين فقط، بل بالأُمّ أيضاً، إذ تبدأ الأمّ، خلال الفترة الثانية من الحمل، باشتهاء أنواع مُحدّدة من الأطعمة، وهو ما يُعرف باسم الوِحَام. وأشار بعض الأطباء الرومان إلى أنّ بعض النساء الحوامل كُنّ يشتهين مواد غير صحيّة مثل الفحم أو التراب،

1 البلدي: تدبير الخبالي والأطفال والصبيان، ص121. وللمزيد عن آراء كبار الفلاسفة اليونان، أرسطو وأفلاطون وفيثاغورث(Pythagoras)(570- 495 ق.م)، بخصوص التفريق الجسدي والروحي بين الذكور والإناث، راجع من المصادر:

Galen: On seed, II, 5, 26.

Galen: On preserving health, I, 7.

ومن المراجع الحديثة، راجع:

Parker. H: Women and Medicine, In; A Companion to Women in the Ancient World, Edited by; Sharon L. James and Sheila Dillon, Blackwell Publishing Ltd, 2012, pp 107- 117. ; Harlow. M And Laurence. R: op, cit, p38.

<sup>2</sup> Carroll. M: op, cit, p 52.

<sup>3</sup> البلدي: تدبير الخبالي والأطفال والصبيان، ص 122.

لذلك نبهوا إلى ضرورة تجنب المرأة هذه المواد " لأن الجنين سوف يتغذى، حينها، على طعام غير نظيف مما سيضر بصحته"،<sup>(1)</sup>.

ولم تُهمل المصادر الأدبية دور المرأة في الحفاظ على جنينها سالمًا حتى نهاية الحمل، فرأى أرسطو وأفلاطون أن المرأة بحاجة إلى مراقبة وعناية خلال فترة الحمل<sup>(2)</sup>. كما أورد الأطباء بعض النصائح والإرشادات الضرورية للمرأة لتحمي جنينها وتتجنب الإجهاض. من تلك الإرشادات ضرورة أن تتجنب، في بداية حملها، المجهود الشاق، ورفع الأوزان الثقيلة، والأطعمة اللاذعة وشرب الخمر، والحمامات الباردة، والجماع<sup>(3)</sup>.

على أية حال، في نهاية الشهر التاسع من الحمل، وأحياناً في نهاية الشهر السابع، تدخل المرأة الحامل في مرحلة المخاض، التي تنتهي بالولادة. ويُعلل أبقراط عملية الولادة، للطفل المكتمل، بأنه في الفترة الأخيرة من الحمل، تغدو الأم غير قادرة على توفير ما يحتاجه الجنين من غذاء، لذلك " يقوم الجنين الجائع بتمزيق الأغشية ويولد"<sup>(4)</sup>. وبالرغم من أن معظم الولادات كانت تتم بطريقة سلسلة ومن دون مشاكل خطيرة، إلا أن بعضها كان يتعثر مما أدى، في بعض الحالات، إلى موت الجنين أو الأم، وأحياناً، كليهما معاً<sup>(5)</sup>. ويبدو أن الرومان أدركوا مخاطر الولادات المتعثرة؛ لذلك أكلوا هذه المهمة إلى قابلة مختصة<sup>(6)</sup>. تلك القابلة كانت تصحب معها، دائماً، تجهيزات خاصة

<sup>1</sup> Soranus: Gynecology, I, 15, 48.

كذلك: ابن سعيد، عريب: خلق الجنين وتدبير الحُبالي، ص40.  
<sup>2</sup> أرسطوطاليس: السياسة، ترجمه من الإغريقية إلى الفرنسية: بارنلمي سانتلهير، نقله إلى العربية: أحمد لطفي السيد، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1947م، ص 283، 284. ؛ أفلاطون: القوانين، ص324، 325.

<sup>3</sup> Hippocrates: On the Diseases of Women, I, 25. ; Soranus; Gynecology, I, 14, 46. I, 26, 54- 56. I, 47.

<sup>4</sup> Hippocrates: The Nature of the Child, XXX, 4.

<sup>5</sup> Ammaniti. M, e altri: Maternità e gravidanza: studio delle rappresentazioni materne, Milano, 1995, p 6.

وتجدر الإشارة هنا، إلى أنه بالرغم من تطور الطب الروماني، في مجال رعاية المرأة خلال الولادة والحمل، وقدرة بعض القابلات على التعامل مع العديد من حالات الولادة المستعصية، إلا أن التقديرات العلمية الحديثة تُشير إلى أن الولادة كانت السبب الأول لوفاة الإناث في سن الإنجاب. وللمزيد عن هذا الموضوع، راجع:

Salmaso. R: op, cit, p 53, 54.

<sup>6</sup> Seneca: Letters; CXVII, 30.

بالولادة<sup>(1)</sup>. من تلك التجهيزات كان: زيت الزيتون، الماء الساخن، كمادات ساخنة، الإسفنج، صوف خام، ضمادات، وسادة، منتجات عطرية، كرسي أو مقعد لتجلس عليه<sup>(2)</sup>.

ومن الأهمية بمكان، القول، أنّ بعض العائلات الرومانية الثرية، كانت تُحضر أكثر من قابلة، يُرافقها نساء أخريات تقتصر وظيفتهنّ على تنفيذ ما تطلبه القابلة منهنّ، وأحياناً مساعدتها<sup>(3)</sup>.

كان التوليد يتمّ على كرسي خاصة بهذه العملية، أمّا في حالة الولادة الصعبة فكان من الممكن استخدام السرير. ومن المهمّ التنويه هنا، إلى أنّ اللغة اليونانية تعكس ارتباطاً في المعنى بين كلمتي السرير والولادة (ليخوس) (λέχος) من جهة، وبين المعركة من جهة أخرى<sup>(4)</sup>، وهو ما قد يكون إشارة إلى مدى الصعوبة التي تواجهها المرأة والطفل والقابلة خلال عملية الولادة التي كانت أشبه بالمعركة الحقيقية بالنسبة لهم<sup>(5)</sup>.

وكما هو الحال في أيامنا هذه، كانت الولادة، في العصر الروماني، لحظة حسّاسة للغاية، ففي حال نجحت، كان يتمّ الاحتفال بها، كما كان يتمّ تقديم بعض الهدايا من بعض أفراد الأسرة. وعثر علماء الآثار على قطعة من الحليّ تُمثّل نموذجاً عن تلك الهدايا. تلك القطعة عبارة عن خاتم من الذهب، يعود إلى أواخر العصر الإمبراطوري. حُفر عليه باللغة اليونانية كلمتان هما (Χαίρε τεκοῦσα)، أي "فلتهنّي بالولادة"، وهي، كما يظهر، أمنية بالسعادة لامرأة ولدت بنجاح، وغدت أمّاً<sup>(6)</sup>.

ثالثاً: رعاية الطفل الرضيع في اليوم الأول من ولادته.

<sup>1</sup> Karamano. M, and others: The effect of Soranus of Ephesus (98–138) on the work of midwives, *Women and Birth*, Vol . 26, Issue 4, December, Australian College of Midwives, Elsevier Ltd, pp226- 228. ; Filippini N. M; op, cit, pp 163, 164.

<sup>2</sup> Soranus: *Gynecology*, II, 2, 2.

<sup>3</sup> Pedrucci. G: *Maternità e allattamenti nel mondo greco e romano*, Roma, 2018, p 57. ; Carroll. M; op, cit, p 56.

<sup>4</sup> Filippini. N. M: op, cit, p 101.

<sup>5</sup> Loraux. N: *Il femminile e l'uomo greco*, Roma, 1991, p6.

<sup>6</sup> Salmaso. R: op, cit, pp 35, 36.

بحكم العادات والتقاليد السائدة في المجتمع الروماني، فإنّ اليوم الأول، لا بل الساعات الأولى، التي تلي ولادة الطفل، قد تضمّنت طقوس وإجراءات كان يقوم بها القائمون على رعاية المولود الجديد. وسيتمّ في هذه الفقرة توضيح تلك الطقوس والإجراءات باعتبارها الخطوات الأولى في رعاية الرضيع في العصر الروماني.

### 1- كيفية التعرف على الرضيع الذي يستحقّ التربية:

لم ينظر المجتمع اليوناني- الروماني بعين المساواة إلى جميع الأطفال المولودين حديثاً، بل وضع ذلك المجتمع جُملة من الشروط التي تُحدّد فيما إذا كان المولود الجديد يستحقّ عناية تربيته أم لا<sup>(1)</sup>. لذلك، وقبل قطع الحبل السري، كانت القابلة تقوم بفحص الرضيع لتعلم إذا كان ذكراً أم أنثى<sup>(2)</sup>، ثمّ تبدأ الخطوة الأولى في رعايته. تلك الخطوة تتمثّل بإجراء تقييم أولي لصحته، فإذا انطبقت عليه جملة من الشروط كان قابلاً للتربية، وإذا لم تنطبق عليه، فإنّه سيكون منبوذاً من أسرته ومجتمعه، وسيغدو عُرضةً لما عُرف في العصر الروماني باسم "التخلي عن الطفل"<sup>(3)</sup>.

والحقيقة، أنّ تلك الشروط كان يتمّ تكوينها من إشارات، منها ما يتعلّق بمرحلة ما قبل الولادة، ومنها ما يلحق الولادة، ومنها ما يتعلّق بأعضاء الرضيع ومدى اكتمالها. والعامل الأول في تحديد مدى صلاحية الرضيع للحياة، كان المدّة التي بقي فيها في رحم

<sup>1</sup> Rawson. B: Marriage, Divorce, and Children in Ancient Rome, Oxford University Press, Oxford, 1991, p12.

وأورد أرسطو فقرة تُشير صراحةً إلى أنّه لم يتمّ تربية الأطفال المشوّهين خُلقيّاً، لا بل طالب بسنّ قوانين تحظر تربية أي طفل مُعتلّ من الناحية الصحيّة. انظر: أرسطوطاليس: السياسة، ص 284.

<sup>2</sup> Dasen. V: Roman birth rites of passage revisited, Journal of Roman Archaeology, No. 22, 2009, p 200.

<sup>3</sup> Harlow. M And Laurence. R: op, cit, p39.

كان " التخلي عن الطفل" أو " هجر الطفل"، أمراً شائعاً في العصر الروماني؛ لذلك لقي هذا الموضوع اهتماماً واضحاً من العلماء والباحثين الحديثين. وللمزيد عن هذا الموضوع، وأبعاده وآثاره في العصر الروماني، راجع:

Gowland. R, and others: On the Brink of Being: Re-evaluating Infanticide and Infant Burial in Roman Britain, Journal of Roman archaeology supplementary series, No. 96, pp 69- 88.

انظر كذلك: فارس، دعاس: مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب القديم، ص 183- 186.

أمه، فإذا وُلد الطفل بعد سبعة أو تسعة شهور، فإنه يكون قابلاً للحياة. أما إذا وُلد في فترة غير هذه، فإنَّ فرصه في الحياة ستكون ضئيلة إن لم تكن معدومة أيضاً<sup>(1)</sup>.

بكاءُ الطفل كان إشارةً أخرى إلى صحته الجسدية، حيث رأى الرومان أنَّ الطفل الذي يبكي بقوة، عند ولادته مباشرة، يتمتع بصحة أفضل من الطفل الذي يعيش لبعض الوقت دون بكاء، أو يبكي ولكن بوتيرة ضعيفة، إذ قد يدلّ ضعف بكاءه على إصابته بمرض يحول دون استقبله للحياة بالصورة المأمولة<sup>(2)</sup>.

ومن الإشارات التي تدلّ على أنَّ الطفل مؤهل للحياة كان اكتمال أعضائه، وعدم وجود نقص في أي جزء من أجزاء جسده، وأن يكون الأنف والأذنين والبلعوم والإحليل والشرج جميعها خالية من الانسداد<sup>(3)</sup>. وأن تكون مفاصله سليمة، أي تتحني وتتمدد بصورة طبيعية، وأن يكون لها حجم وشكل مناسبين، وأن يُحسَّ بها الرضيع بشكل صحيح. وكان بإمكان القابلة معرفة مدى صحة مفاصل الرضيع من خلال ضغط الأصابع عليها، فإذا عانى الرضيع من الألم عند ضغط القابلة فإنَّ مفاصله تكون سليمة، وإذا لم يُعاني من الألم، فإنَّ مفاصله تُعاني من نقص ما أو مرض ما<sup>(4)</sup>.

ومن الأهمية بمكان القول، أنَّ هذه الشروط كانت بغالبها تخص الطبقات الراقية والنبيلة التي كانت تُولي اهتماماً كبيراً لوجود نسل صحي ومثالي، في حين أنَّها لم تكن من أولويات العائلات التي تنتمي للطبقات الفقيرة أو لطبقة العبيد<sup>(5)</sup>.

هذه كانت أهم الشروط التي ذكرتها المصادر الأدبية بخصوص التعرف على مدى كفاية الرضيع للتربية. والحقيقة، أنه من خلال وجود هذه الشروط المُسبقة، فإنَّ المرء يُلاحظ مدى الظلم الذي حاق بالرضيع الروماني منذ لحظة ولادته. ذلك أنَّ تلك الشروط

<sup>1</sup> Soranus: Gynecology, II, 6.

<sup>2</sup> Dasen. V: Iconographie Et Archéologie Des Rites De Passage De La Petite Enfance Dans Le Monde Romain, Questions Méthodologiques, In: Life, Death, and Coming of Age in Antiquity: Individual Rites of Passage in the Ancient Near East and its Surroundings, edited by Mouton. A and Patrier. J, Nederlands Instituut Voor Het Nabije Oosten, Leiden, 2014, p 233.

<sup>3</sup> Dasen. V: Roman birth rites of passage revisited, op, cit, p 200.

<sup>4</sup> Soranus: Gynecology, II, 6.

<sup>5</sup> Martin. D. B: 'The Corinthian Body' New Haven', Yale University Press, London, 1995, p 26. ; Harlow. M And Laurence. R: op, cit, p39.

تجعل من حياته رهناً بتقييم شخص يتساوى معه في الإنسانية، وبالتالي يحرمه من أول حقوقه الإنسانية، وهو "حق الحياة". ولكن، وبالوقت نفسه، يجب النظر إلى تلك الشروط من منظور أنها فرضت من مجتمع إطاره الزمني ينتمي إلى القرون الأولى للميلاد، أي لم يكن يعنيه حقوق الرضيع، ولا يعنيه حياة الرضيع الضعيف والمُعْتَلّ صحياً، بقدر ما كان يعنيه وجود أطفال قادرين على القيام بأعباء الأسرة المستقبلية.

## 2- قطع حبل السرة:

يُمثّل قطع الحبل السريّ خطوة رمزية مهمة في حياة الطفل الرضيع، إذ يُشير إلى انفصاله جسدياً عن والدته، وبالتالي بدء تنشئته كفرد جديد في المجتمع<sup>(1)</sup>.

والحقيقة، أنه كان لدى القابلات الرومانيات خبرة كبيرة في طريقة التعامل مع الحبل السريّ، تلك الخبرة تبدو بوضوح من خلال التوصيات والإرشادات التي تركها الأطباء بهذا الخصوص. فأورد جالينوس أنه إذا كانت الولادة مُتَعَسِّرة وُولد الطفل سالماً، فيجب على القابلة عدم قطع سرته حتى يبكي أو يعطس أو يتبول<sup>(2)</sup>. أما سورانوس فعكس معارف عصره، الخاصة بطرق التعامل مع الحبل السريّ، حيث أورد توصيات وإرشادات شاملة بهذا الخصوص، ويمكن إجمال تلك التوصيات فيما يلي:

أ- يجب على القابلة أن لا تقوم بقطع حبل السرة حتى يستريح المولود ويتخلّص من كامل الآثار الناجمة عن الولادة. وبعد أن تتيقن من سكون الطفل وهدوءه، عندئذ، فقط، تقوم بقطع الحبل السريّ.

ب- يجب على القابلة أن تترك مسافة أربعة أصابع من السرة، وعند هذه النقطة تقوم بقطع حبل السرة. مع التنبيه إلى أن عدم الالتزام بهذه المسافة قد يؤدي إلى حدوث كدمات أو تشوهات تُؤثر على الرضيع.

ج- يجب على القابلة أن تستخدم أداة حادة ونظيفة في قطع حبل السرة، تلك الأداة يمكن أن تكون سكين حديدية، أو قطعة من الزجاج أو الفخار أو حتى قشرة رقيقة من الخبز<sup>(3)</sup>. مع إعطاء القابلة خيار الضغط على حبل السرة باستخدام سلك دقيق<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup> Carroll. M: op, cit, p 63.

<sup>2</sup> ابن سعيد، عريب: خلق الجنين وتدبير الحبالى، ص51.

<sup>3</sup> Dasen. V: Iconographie Et Archéologie Des Rites De Passage De La Petite Enfance Dans Le Monde Romain, op, cit, p 235.

د- بعد قطع حبل السرة، يجب على القابلة أن تقوم بالضغط عليه حتى يخرج الدم المتخثر منه.

ه- خوفاً من حدوث نزيف، يجب على القابلة أن تقوم بربط المكان الذي تم فيه قطع السرة بوساطة قطعة صوف، أو بخيط دقيق، أو ما شابه ذلك. مع التنبيه إلى ضرورة الابتعاد عن استخدام الكتان في ربط السرة؛ لأن الكتان ثقيل على اللحم، لذلك فإنه قد ينغرس في الجسد الناعم للرضيع مما يسبب له ألماً شديداً<sup>(2)</sup>.

و- بعد قطع حبل السرة، يجب الابتعاد عن كيّ السرة بأية أداة ساخنة سواء أكانت سكين أو غيرها من القطع الحديدية؛ لأن كيها قد يؤدي إلى تعرّض الرضيع للتهابات مضرّة، فضلاً عما يصاحب الكي من ألم شديد قد يهدّد حياة الرضيع<sup>(3)</sup>.

ومن الأهميّة بمكان القول، أن سورانوس لم يقتصر على إيراد توصيات ونصائح بخصوص قطع حبل السرة، بل هاجم، أيضاً، الأفكار الشائعة في عصره، والتي تقول أنه " يجب عدم استخدام الحديد في قطع حبل السرة على اعتبار أن استخدام الحديد في هذه المرحلة من حياة الرضيع يُعتبر نذير شؤم"، فيقول سورانوس مهاجماً هذه الفكرة: " هذا سخيف تماماً، فالبكاء بعد ذاته نذير شؤم، ومع ذلك يبدأ الطفل حياته بالبكاء؛ لذلك من الأفضل أن تكون (يقصد القابلة) أقلّ إيماناً بالخرافات، وأن تقطع حبل السرة بواسطة سكين"<sup>(4)</sup>.

والجدير بالذكر، أن رفض سورانوس لبعض الأفكار الشائعة في عصره، ووصفها بـ" الخرافات"، يُعتبر دليلاً على أن العصر الروماني شهد وجود أطباء حاولوا النهوض بمهنة الطب بشكل عامّ وبرعاية الأطفال بشكل خاصّ، من خلال دحض الخرافات والتقاليد الموروثة التي لا تمتّ للطب التجريبي بصلة، هذا من جهة. كما أنه يُشير إلى مدى تداخل العادات الموروثة في رعاية الطفل الرضيع، ومدى تأثيرها حتى على القابلات اللواتي كنّ، من المفترض، أصحاب الخبرة في هذا الشأن، من جهة أخرى.

<sup>1</sup> Soranus: Gynecology, II, 7.

<sup>2</sup> Dasen. V: Iconographie Et Archéologie Des Rites De Passage De La Petite Enfance Dans Le Monde Romain, op, cit, p 236.

<sup>3</sup> Soranus: Gynecology, II, 7.

<sup>4</sup> Soranus: Gynecology, II, 7.



## 3- الحَمَامُ الأول للرضيع:

بعد أن يتمكّن الرضيع من تجاوز امتحانه الأول في الحياة، والمُتمثّل في تحقيقه للشروط السابقة الذِّكر، وبعد قطع الحبل السريّ تقوم القابلة بوضعه على الأرض، ليعمد، بعدها، والده إلى رفعه في خطوة رمزية، كانت تُعرف باسم (tollere liberos) أيّ "رفع الطفل"<sup>(1)</sup>، في إشارة إلى قبوله ببنوة هذا الرضيع<sup>(2)</sup>، ثمّ يعطيه للقابلة، مرّة أخرى، لتقوم بتنظيفه وإجراء الحَمَامُ الأول له<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup> Dixon. S: The Roman Family, Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1992, p 101.

<sup>2</sup> Néraudau. J.P: Être enfant à Rome, Realia, Paris, 1984, p 210.

ويبدو من خلال هذه الخطوة الطقسيّة، أيّ رفع الرضيع من قبل الأب، الوضع المُتمثّل للأب في المجتمع الروماني، ومكانته التي كانت تسمح له بقبول الطفل في الأسرة أو رفضه. انظر:

Harlow. M And Laurence. R: op, cit, p39.

كذلك: فارس، دعاس: مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب القديم، ص170، 197.

وتجدر الإشارة هنا، إلى أنّه جرت العادة في العصر الروماني أن لا يقوم الأب بتسمية الرضيع في يوم ولادته الأول، بل كان يتم تأخير تسميته إلى اليوم التاسع بالنسبة للذكور، وإلى اليوم الثامن بالنسبة للإناث. ويوجد في كتابات أرسطو تعليل مهمّ لسبب تأخير تسمية الطفل، إذ أورد أنّ الأسبوع الأول شكّل المرحلة الأكثر خطورة من حياة الرضيع، والعديد منهم كانوا يموتون خلال أسبوعهم الأول؛ ولذلك كان يتم تأخير تسمية الطفل حتّى يتمّ التأكّد بأنّه تمكّن من تجاوز الفترة الأكثر حرجاً من حياته. انظر:

Aristotle: Animal History, DLXXXVIII a, 8-10.

أمّا سبب تسمية الذكور في اليوم التاسع، والإناث في اليوم الثامن، فيعود إلى اعتقاد الرومان أنّ الإناث يفضّلن قبل الذكور، وإلى أخذ الرومان بوجهة نظر فيثاغورث التي تقول أنّ الأرقام الفردية أكثر ملائمة للذكور من الأرقام الزوجية. انظر:

Harlow. M And Laurence. R: op, cit, p39.

وتميّز الرضيع الذكر عن الرضيعة الأنثى بأنّه يحمل منذ يوم تسميته اسم مركّب من ثلاثة أسماء هي: اسمه الشخصي (Prenomen)، اسم العشيرة التي ينتمي إليها (Nomen)، اسم الشهرة (Cognomen). أمّا الرضيعة فتكوّن اسمها من مقطعين فقط، هما اسمها الشخصي، واسم الشهرة، في حين تمّ إسقاط اسم العشيرة التي تنتمي إليها.

وقد يكون السبب في عدم ذكر اسم عشيرة الأنثى، يعود إلى عدم قيامها بدور كبير، مقارنة مع الذكور، في الحياة السياسية في العصر الروماني، لذلك يغدو اسم عشيرتها غير ذي أهمية.

والحقيقة، أنّ هذا الاختلاف في العادات الرومانية، بخصوص تسمية الرضيع، يُعدّ دليلاً على أنّ الرومان كان لديهم تفريق حقيقي بين الذكر والأنثى، حالهم حال جميع الشعوب القديمة التي كانت تستبشر بالذكر، على اعتبار أنّه سيحمل اسم العائلة وسيساعدوا في القيام بمهامها الحياتية.

للمزيد عن " تسمية الرضيع في العصر الروماني"، انظر: أنديشة، أحمد محمد و القماطي، حميدة: الأسرة الرومانية زمن الإمبراطور أوغسطس 27ق.م- 14م، العدد الثاني، مجلة كلية الآداب، جامعة مصراته، 2014م، ص 180، 182، 183. ؛ فارس، دعاس: مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب القديم، ص162- 164.

ومن المراجع الأجنبية، انظر:

وهنا لا بدّ من التفريق بين الحمام الأول للرضيع، وهو الحمام الذي يلي ولادته مباشرةً، وبين الحمام الروتيني الذي يتم بصورة دورية، إذ أنّ للحمام الأول طقوس وإجراءات غير موجودة في الحمام الروتيني. كما أنّ الحمام الأول لم يكن مجرد خطوة عادية تقوم بها القابلة بهدف تنظيف الرضيع، بل كان يحمل قيمة رمزية واجتماعية كبيرة، فهو يمثل انتقالاً من الوجود داخل الرحم إلى حياة جديدة داخل الأسرة<sup>(2)</sup>. كما يُشير إلى أنّ الطفل أصبح فرداً في العائلة<sup>(3)</sup>، وإلى أنّه يستحقّ التربية؛ لذلك كان يتمّ إبعاد الأطفال المعتلين صحياً دون غسلهم<sup>(4)</sup>.

لم يكن حمام الرضيع يجري بصورة اعتباطية، بل كان يحتاج إلى دراية ومعرفة بطريقة إمساك الطفل، وطريقة تنظيفه، وطريقة تطهيره، والمواد الواجب استخدامها خلال الحمام بغية تنظيف الرضيع بالصورة المثلى؛ لذلك عمد الرومان إلى تكليف قابلة مختصة بهذه المهمة. ويُعلّل روفوس الأفسوسي ذلك، فيقول: ” لا تعرف جميع المربيات \* كيفية التعامل الصحيح مع الرضيع في الحمام، على الأقل في البداية؛ وهذا هو سبب تكليفنا للقابلات بهذه المهمة“<sup>(5)</sup>.

---

Laes. C: Infants between biological and social birth in antiquity: a phenomenon of the Longue Durée, *Historia*, No. 63(3), 2014, , p 370. ; Rawson. B: op, cit, p 14.

<sup>1</sup> Bagley. A. M: op, cit, p 118.

<sup>2</sup> Hänninen, M. L: 2005. From womb to family. Rituals and social conventions connected to Roman birth; In Mustakallio. K, and others; *Hoping for Continuity Childhood, Education and Death in Antiquity and the Middle Ages*, Institutum Finlandiae, Rome, 2005, p 55. ; Dasen. V: Des nourrices grecques à Rome?, *Paedagogica Historica* Vol. 46, No. 6, December, 2010, p700.

<sup>3</sup> فارس، دعاس: مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب القديم، ص192.

<sup>4</sup> Soranus: *Gynecology*, II, 6, 10.

\* يجب التنويه إلى أنّه، وبدءاً من هذه الصفحة، سيُقصد بمصطلح المربية، المرأة التي تقوم برعاية الرضيع سواء أكانت أمّه أو خادمته أو ممرضته.

<sup>5</sup> Rufus, in Oribasius: *Liber incertus, Collectiones medicae*, XX, 1.

وهنا، يجب التركيز على عبارة "في البداية" التي أوردها روفوس، إذ تدلّ على أنّ الأخير اعتبر أنّ جميع القابلات خبيرات في طريقة استحمام الرضيع، في حين أنّ بعض المربيات لم يكنّ على نفس السوية من الخبرة، لذلك توجّب على القابلة أن تُجري الحمام الأول للرضيع، وأن تُدرّب المربية على كيفية التعامل الصحيح مع جسده، ليتسنى لتلك المربية القيام بهذه المهمة بمفردها فيما بعد. انظر:

Bagley. A. M: op, cit, p 118.

وأشارت المصادر الطبيّة إلى أنّه يجب على القابلة أن تُمسك الرضيع بعناية خلال الحمام، وأنّ تحرص على جعل رأسه منخفض قليلاً<sup>(1)</sup>. ثمّ تقوم بتطهيره وتنظيفه باستخدام الملح أو غيره من مساحيق التطهير، كالنظرون مثلاً؛ بغية تخليصه من طبقة الدّم اللزج ومن باقي السوائل التي تكون موجودة على جسده في أعقاب ولادته، ولكي يُصبح جلد الرضيع أكثر سماكة، ويكتسب حصانة ضدّ الطفح الجلدي<sup>(2)</sup>.

وعلى اعتبار أنّ جسد الرضيع يكون، في أعقاب الولادة، طرياً جداً وحساساً من أيّ شيء؛ لذلك كانت القابلة تقوم بمزج الملح مع القليل من العسل أو زيت الزيتون أو عصير الخضار أو عصير الشعير<sup>(3)</sup>. وشدّد جالينوس على ضرورة تدليك جسد الرضيع بزيت الزيتون وخاصّة في حمامه الأول، لما يحمله من مفعول، يُشابه مفعول الملح، من ناحية حماية بشرة الرضيع من الالتهابات والطفوح الجلدية التي قد تُصيبه في المستقبل<sup>(4)</sup>.

وفي هذا السياق، نبّهت المصادر الطبيّة إلى ضرورة الابتعاد عن بعض العادات، غير الصحيّة، فيما يخصّ تطهير الرضيع، مثل استخدام النبيذ أو الآس أو حتى بول طفل صغير آخر كمواد تطهير. فأوضح سورانوس أنّ النبيذ يُسبب الصدمة للرضيع، أمّا الآس فلا يُحقّق الغاية المطلوبة وهي تطهير الطفل، في حين أنّ بول طفل آخر يُسبّب للرضيع رائحة كريهة غير مرغوبة<sup>(5)</sup>. كما توجّب على القابلة الانتباه إلى عدم إدخال الملح إلى العينين أو الأنف أو الفم حتى لا يتسبّب ذلك بتقرّح أو بالتهابات أو حتى باختناق الرضيع<sup>(6)</sup>.

ومن البديهي القول، أنّ عملية التملّيح، مثلها مثل باقي خطوات رعاية الطفل الرضيع، كانت تحتاج إلى تأنّي وإلى تكرارها على مدار عدّة أسابيع حتّى يتمّ التأكد أنّ

<sup>1</sup> Rufus, in Oribasius: Liber incertus, Collectiones medicae, XX, 7- 8.

<sup>2</sup> Galen: On preserving health, I, 7. ; Soranus: Gynecology, II, 8, 12- 13.

<sup>3</sup> Carroll. M: op, cit, p 63.

<sup>4</sup> Galen: On preserving health, I, 10.

<sup>5</sup> Soranus: Gynecology, II, 8, 12.

<sup>6</sup> Soranus: Gynecology, II, 8, 13. ; Harlow. M And Laurence. R: op, cit, p42.

الرضيع قد اشتدَّ عوده وأصبح محصناً من الأمراض والالتهابات التي قد تتعرض لها بشرته الحساسة<sup>(1)</sup>.

على أية حال، بعد التدليك المُتأنّي لجسد الرضيع بالملح وبزيت الزيتون، كانت القابلة تقوم بغسل جسده، بعناية، مُستخدمةً ماء دافئ<sup>(2)</sup>.

والحقيقة، أنّ الحمام الأول لم يكن الهدف منه تنظيف الرضيع فقط، بل تضمن خطوات تهدف إلى التأكد من سلامة حواس الرضيع وبعض وظائفه الجسمانية، فكانت القابلة، مُستخدمةً أصابعها، تقوم بالضغط، بعناية، على أنف الرضيع بهدف إخراج المخاط السميك الموجود فيه، ثم تعود وتُنظّف الفم والأذنين بشكل جيّد<sup>(3)</sup>.

وخوفاً من إصابة الرضيع بضعف البصر في المستقبل؛ لذلك كانت القابلة تقوم بمسح العينين بزيت الزيتون بهدف إزالة الرطوبة من داخلهما<sup>(4)</sup>. ثم تقوم، مُستخدمةً إصبع يدها الصغير (الخنصر)، المقصوص أظفاره، بتوسيع فتحة الشرج وإزالة الغشاء الرقيق الموجود فيها، وإخراج البراز الأسود (أو ما يُعرف طبيّاً باسم العقوي) الموجود في الشرج<sup>(5)</sup>.

والحقيقة، أنّ سرّة الرضيع كانت، هي الأخرى، موضع عناية خلال الحمام الأول، إذ كانت القابلة تقوم بوضع قطعة صغيرة من الصوف مبلّلة بزيت الزيتون فوقها، ثم تقوم بلقها، بعناية، بقطعة أخرى من الصوف بهدف إعطاء تجويف السرّة شكلاً جميلاً ومثالياً<sup>(6)</sup>. وكشفت الأبحاث الأثرية عن مشهد نحتي يُصوّر الحمام الأول للرضيع، وفيما يلي شكل يُمثّل ذلك المشهد مع دراسة تاريخية له:

<sup>1</sup> Gourevitch. D: L' Anonyme de Londres et la médecine d'Italie du Sud, History and Philosophy of the Life Sciences, Vol 11, No. 2, 1989, pp 228, 229.

<sup>2</sup> Bagley. A. M: op, cit, p 118. ; Dasen. V: Iconographie Et Archéologie Des Rites De Passage De La Petite Enfance Dans Le Monde Romain, op, cit, p 237.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ بعض المصادر الطبية الرومانية، حدّرت من استخدام الماء البارد في حمام الرضيع؛ لأنه قد يؤدي إلى إصابته بتشنجات قوية أو حتى سكتة دماغية على اعتبار أنّ الرضيع لم يختبر المياه الباردة من قبل، كما أنّ ضعفه الجسدي لا يُمكنه من مقاومة تأثير تلك المياه. انظر :

Soranus: Gynecology, II, 8, 12.

<sup>3</sup> فارس، دعاس: مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب القديم، ص192.

<sup>4</sup> Soranus: Gynecology, II, 8, 13.

<sup>5</sup> Dasen. V: Roman birth rites of passage revisited, op, cit, p 204.

<sup>6</sup> Soranus: Gynecology, II, 8, 13.



الإطار الزمني	المصدر	دراسة الشكل
تعود إلى الـنصف الأول من القرن الثاني الميلادي.	هذه المنحوتة جزء من تابوت يُوضَّح السيرة الذاتية لطفل مات بين عامي 120 - 130م. والتابوت محفوظ اليوم في متحف مدينة أجريجننتو (Agrigento) في جزيرة صقلية	يُمثِّل الشكل، الموجود أعلاه، الحمام الأول لطفل رضيع في العصر الروماني. ويظهر في النحت القابلة وهي تقوم بغسل الرضيع في إناء بيضاوي الشكل. أما الأم فتظهر وهي جالسة على كرسي، وتراقب عمل القابلة. كما يظهر في النحت عدد من النساء اللواتي يتجمهرن حول الطفل، إحداهنَّ تُمسك بيدها منشفة لتجفيف الرضيع بعد الحمام.

<p>الإيطالية. لذلك يُعرف هذا التابوت باسم تابوت أجريجتو. الشكل مُقتبس من: Sparreboom. A: op, cit, p 16.</p>	<p>ويمكن بوضوح ملاحظة شكل القابلة التي تبدو في سنّ متقدّم، مما يدلّ على أنّها كانت ذات خبرة في هذا المجال. كما يُمكن ملاحظة اهتمامها بالرضيع من خلال طريقة الإمساك به، وطريقة لفّها لردائها حول خصرها كي لا يعيقها في عملها. ويدلّ وجود القابلة في هذا النحت والعدد الكبير من النسوة حول المرأة، على أنّ هذا الحمّام هو الحمّام الأول للرضيع ولم يكن حمّام روتيني. ومن المهم أيضاً ملاحظة أنّ الأمّ لم يتمّ تمثيلها على أنها غير مبالية بطفلها، بل تمّ تصويرها بهيئة المرأة المثاليّة التي تُراقب باهتمام. ومن خلال لباس الأمّ، وغطاء رأسها، والجو العام للمنحوتة يظهر بوضوح أنّ الرضيع من طبقة رومانيّة ثريّة. وهذا يدلّ على أنّ القسم الأكبر من إرشادات رعاية الرضع كانت موجّهة إلى نخبة المجتمع الروماني.</p>
---	--

#### رابعاً- تشكيل جسد الرضيع:

ساد في العصور القديمة عادة قيام القابلة أو المُربيّة بتشكيل جسد الرضيع بهدف إعطائه شكلاً جذاباً ومثالياً، إنّ صحّ التعبير. وقد أشار أفلاطون إلى هذه الممارسة في أيامه (عاش أفلاطون بين عاميّ 427- 347 ق.م)، فأورد: ” الأمّ الحامل.... تُشكّل ولدها، حين تضعه، كما تُشكّل الشمع وهو طريّ“<sup>(1)</sup>. واستمرّت هذه العادة في العصر الروماني، حيث أوردت المصادر الأدبية إشارات مهمّة إلى إيلاء الرومان أهمية كبيرة

<sup>1</sup> أفلاطون: القوانين، ص 319.

لهذه الناحية من حياة الرضيع. فنصح الأطباء الرومان بتدليك جسد الطفل وتشكيله برفق وعناية والتعامل معه وكأنه قالب من الشمع<sup>(1)</sup>. ويقول جالينوس بهذا الصدد: ” يُولد الطفل، ولكنه في هذه المرحلة يكون رطباً للغاية، ليس فقط في أوعيته وأعضائه ولحمه، بل حتى في عظامه، وهي الجزء الأكثر جفافاً فينا، لذلك يجب تشكيل هذه العظام، ومعها الأطراف ككل، والتعامل معها وكأنها قوالب من الشمع“<sup>(2)</sup>.

المؤرخ اليوناني بلوتارخوس (Plutarch)(45-125م)، هو الآخر، نقل العادة الرومانية بتشكيل جسد الطفل الرضيع، وأعطى لهذا التشكيل أهمية كبيرة لدرجة أنه قرن بينه وبين بناء شخصية الطفل وتنمية عقله، فأورد: ” بعد ولادة الطفل مباشرة، من الضروري البدء في تشكيل أطراف جسمه حتى تنمو بشكل مستقيم وبدون تشوه .. كما لا بدّ من تكوين شخصيات الأطفال منذ بداية نشأتهم؛ لأنّه من السهل التأثير بهم. وعلى اعتبار أنّ عقولهم لا تزال طرية، لذلك فإنّ التعليم ينغرس بعمق في نفوسهم، وكلما زادت عقولهم قساوةً كلما زادت صعوبة تعليمهم. وبنفس الطريقة التي تترك الأختام انطباعها في الشمع، تترك الدروس تأثيرها في عقول الأطفال وهم صغار“<sup>(3)</sup>.

ومن الأهمية بمكان القول، أنّ العبء الأكبر، في هذه الناحية من رعاية الرضيع، كان يقع على عاتق قابلة مُختصة<sup>(4)</sup>، وهو أمر يبدو طبيعياً في ضوء ما أورده المصادر بخصوص رقة جسد الرضيع واحتمال تشوّهه من أيّ حركة خاطئة، هذا من جهة. وفي ضوء خبرة القابلات أكثر من غيرهنّ في التعامل مع الرضيع من جهة أخرى<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> Dasen. V: Childbirth And Infancy In Greek And Roman Antiquity, op, cit, p 701.

<sup>2</sup> Galen: On Mixtures, II, 2.

<sup>3</sup> Plutarch: Moralia, "The Education of Children", V.

<sup>4</sup> الدور المحوري للقابلة في هذه الناحية من رعاية الرضيع يبدو جلياً في ما أورده جالينوس حين قال: ” يجب تدليك جسد الطفل بزيوت الزيتون الحلو، كما تفعل معظم القابلات، مع تحريك أجزاءه المختلفة بلطف وعناية“. فتحدد جالينوس للقابلات، يدلّ على أنّ القابلة هي من كانت تقوم بالعناية بالرضيع في المرحلة الأولى من حياته. كما أنّ إيراده عبارة ” كما تفعل معظم القابلات“، يدلّ على أنّ القابلات الرومانيات كنّ يأخذن بنصائح الأطباء الرومان، وكُنّ على دراية بأصول رعاية الرضيع. انظر:

Galen: On preserving health, I, 10.

<sup>5</sup> Rufus, in Oribasius: Liber incertus, Collectiones medicae, XX, 7- 8.

بناءً عليه، كانت القابلة تقوم بمسح جسد الرضيع بزيت الزيتون، ثم تبدأ بتدليك العمود الفقري، وأسفل الظهر وبين الكتفين بحركات مستقيمة ودائرية بهدف ترتيب الفقرات بصورة مثالية، ولتغذو حركتها مرنة جداً، ولكي لا تتعرض تلك الفقرات لأي تشوه يؤثر على مظهر الرضيع. كما كانت تقوم بتدليك رأس الرضيع حتى لا ينمو بشكل طولي أو بصورة مُدببة<sup>(1)</sup>.

وجه الرضيع نال حقه، أيضاً، من هذه الناحية من الرعاية، حيث كانت القابلة تستخدم إبهامها، بلطف وعناية، لتدليك العينين وتشكيل الأنف، فإذا كان مسطحاً كانت تقوم برفعه، وإذا كان معقوف كانت تضغط عليه قليلاً<sup>(2)</sup>.

ولم يُغفل الأطباء الرومان تشكيل الأعضاء التناسلية للذكور، بل أوصوا بإعطائها اهتمام خاص. فأورد سورانوس بهذا الخصوص: ” إذا كان الرضيع ذكراً، وبدا أنه ليس لديه قلفة، فيجب على القابلة أن تسحب طرف القلفة برفق إلى الأمام، وإذا اضطرت يجب أن تمسكها بخيط من الصوف لتثبيتها. بالإضافة إلى ذلك، يجب أن تقوم القابلة بتشكيل كيس الصفن من النقطة التي يلتقي عندها الفخذان“<sup>(3)</sup>.

والحقيقة، أن ما أورده سورانوس يعكس حرص الرومان، ولاسيما النخبة منهم، على إعداد شبان قادرين على القيام بأدوارهم الإنجابية في المستقبل<sup>(4)</sup>، كما يعكس الاهتمام الروماني بصحة ومظهر الأعضاء التناسلية خاصة أن عادة العُري، في الحمامات والصالات الرياضية، كانت عادة شائعة في العصر الروماني<sup>(5)</sup>. كما يُعتبر دليلاً مهماً على أن الرومان، شأنهم في ذلك شأن اليونان، كانوا يرفضون فكرة ختان الذكور<sup>(6)</sup>. وتجدر الإشارة هنا، إلى أن تشكيل ملامح الرضيع لم يكن يتم في الفترة التي

<sup>1</sup> Harlow. M And Laurence. R: op, cit, p42.

<sup>2</sup> Soranus: Gynecology, II, 16, 32.

<sup>3</sup> Soranus: Gynecology, II, 16, 34.

<sup>4</sup> Martin. D. B: op, cit, p 26.

<sup>5</sup> Foxhall. L: Studying Gender in Classical Antiquity, Cambridge University Press, Cambridge , 2013, pp 74, 77.

<sup>6</sup> Hodges. F. M: The ideal prepuce in ancient Greece and Rome: male genital aesthetics and their relation to lipodermos, circumcision, foreskin restoration, and the kynodesme. Bulletin of the History of Medicine, Vol 75, No. 3, 2001, p 394.



تعقب ولادة الطفل فقط، بل كل يوم حتى يتسنى للقابلة التأكد أنّ الرضيع غدا يحمل ملامح مثالية<sup>(1)</sup>.

ومن الأهمية بمكان القول، أنّه وبالرغم من كل هذه التوصيات بطريقة تشكيل جسد الرضيع، فإنّ الأبحاث الأثرية قد أظهرت أنّ عدداً كبيراً من الأطفال الرومان كانوا عرضةً لتشوهات في الأطراف والصدر والعمود الفقري<sup>(2)</sup>. وهذا يبدو معقولاً إلى حدّ ما، حيث أنّ التوصيات التي قال بها كبار الأطباء في العصر الروماني، مثل جالينوس وروفوس الأفسوسي وسورانوس، كانت توصيات مثالية وموجّهة إلى القابلات المختصات والخبيرات بعملهن. ومن الطبيعي أنّ لا يكتنّ جميعهن على نفس السوية من الخبرة والدراية بتلك التوصيات. ومن الطبيعي، أيضاً، أنّ لا يملك جميع الرومان القدرة المادية على استدعاء قابلات أو ممرضات بنفس الخبرة والسوية المعرفية التي أراها الأطباء الرومان.

#### خامساً - قماط الرضيع:

من أشهر أوجه الرعاية التي أولها الرومان للرضيع كان لفته بضمادات من القماش، وتُعرف هذه العادة باسم " القماط"<sup>(3)</sup>. ويُعتبر قماط الطفل من النواحي المهمة التي أكّدت عليها المصادر الأدبية<sup>(4)</sup>، ثم جاءت المصادر الأثرية لتؤكد شيوعها بشكل كبير في العصر الروماني<sup>(5)</sup>. وسيتمّ في هذه الفقرة دراسة الهدف من القماط، وطريقة لفته، ثمّ توقيت وطريقة التخلّص النهائي منه.

#### 1- الهدف من القماط:

حرص الرومان على إعداد أطفال يتمتعون بجسد قوي وصحيح<sup>(6)</sup>؛ لذلك فقد نظروا إلى القماط كضرورة تفرضها دواعي طبيّة واجتماعية، فهو من ناحية يُقوم جسد

<sup>1</sup> Gourevitch. D: op, cit, pp 228, 229.

<sup>2</sup> Minozzi. S, and others: Palaeopathology in the Roman Imperial Age. Pathobiology, No. 79, 2012, pp 269- 277.

<sup>3</sup> Harlow. M And Laurence. R: op, cit, p42.

<sup>4</sup> أرسطوطاليس: السياسة، ص 286. ؛ بلوتارك: تاريخ أباطرة وفلاسفة الاغريق، ترجمة: جرجيس فتح الله، المجلد الثاني، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2010م، ص 714.

Soranus: Gynecology, II, 9, 15.

<sup>5</sup> Harlow. M And Laurence. R: op, cit, pp 42, 43.

<sup>6</sup> Carroll. M: op, cit, p43.

الرضيع ويحافظ عليه بصورة متماسكة من خلال حماية أطرافه ومفاصله من الالتواءات والانحناءات التي تؤثر على صحته في المستقبل<sup>(1)</sup>. ومن ناحية أخرى، فإنه يساهم في حماية العينين مما قد يلحق بهما من ضرر في حال وضع الرضيع أصابعه فيهما<sup>(2)</sup>. كما حمل القماط تأثير اجتماعي مهم، إذ أن تكرار فكّه ولقّه يساهم في تقوية الرابطة الاجتماعية والنفسية بين الرضيع والمربية التي تقوم على رعايته<sup>(3)</sup>.

## 2- طريقة لفّ القماط:

لم يكن لفّ القماط يتم بطريقة عشوائية، بل كان يجب على القابلة أو المربية أن تكون خبيرة بهذا الشأن حتى لا يفقد القماط هدفه، أو ربّما يؤدي إلى نتيجة عكسية على جسد الرضيع؛ لذلك أوصت المصادر الطبيّة بأن يتم تحضير ضمادات ناعمة ونظيفة، وأن يتم مسح جسد الرضيع بكمية بسيطة من زيت الزيتون قبل لقّه بالقماط؛ ” لأنّ زيت الزيتون يُعطي لبشرة الرضيع نعومة، ويُدفنّها ويُغذيها ويمنحها رونقاً جميلاً“<sup>(4)</sup>، ثم يتم لفّ الأطراف الفردية أولاً، أي اليدين والرجلين، وبعدها يتم لفّ الجسم كله من الصدر إلى القدمين، مع الانتباه إلى ضرورة تغطية الرأس بلقّه، بشكل دائري، بقطعة قماش ناعمة ونظيفة أو قطعة من الصوف<sup>(5)</sup>.

وكان الرومان يراعون، في لفّ القماط، جنس الرضيع سواء أكان ذكر أم أنثى، فإذا كان ذكراً، فإنّهم كانوا يقومون بلفّ إحدى الضمادات العريضة بشكل دائري حول الصدر، بحيث يكون الضغط عليها متساوياً. أمّا إذا كان الرضيع أنثى، فإنّهم كانوا يزيدون من ضغط القماط على منطقة الصدر، في حين تُرك فضفاضاً في منطقة الخصرة<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> Dasen. V: Roman Childhood Revisited, op, cit, p 107.

<sup>2</sup> Soranus: Gynecology, II, 19, 42.

<sup>3</sup> Carroll. M: op, cit, p63.

<sup>4</sup> Soranus: Gynecology, II, 15, 35.

وأوضح سورانوس، في هذه الفقرة، أنّه يجب عدم الإكثار من زيت الزيتون؛ لأنّ الإكثار منه سيؤدي إلى انزلاق القماط، وبالتالي إلى احتمال تشويه مفاصل الرضيع.

<sup>5</sup> Rufus, in Oribasius: Liber incertus, Collectiones medicae, XX, 2. ; Soranus: Gynecology, II, 9, 15.

<sup>6</sup> Dasen. V: Roman birth rites of passage revisited, op, cit, p 206.

والحقيقة، أنه خلال هذا التفريق بين طريقة تقييط الذكر والأنثى، يُلاحظ انعكاس رعاية الرضيع على دوره المستقبل في المجتمع الروماني، فالذكور يجب أن يتمتعوا بأجسام قوية ولاسيما في منطقة الصدر، أجسام تناسب أعمالهم اليومية سواءً أكانت ألعاب رياضية أم قتال في المعارك أم غير ذلك من المهام المنوطة لهم في مجتمعهم<sup>(1)</sup>. أما الإناث فيجب أن يتمتعن بأجساد جميلة وصحية في منطقة الحوض، بهدف الظهور بمظهر لائق في المستقبل أولاً، وللقيام بدورهنّ كأمهات سليمات قادرات على الإنجاب ثانياً<sup>(2)</sup>.

ومن الأهمية بمكان القول، أنّ الرومان حرصوا على فكّ القماط عدة مرات في اليوم بهدف تنظيف الرضيع، وخوفاً من إصابته بالطفح الجلدي<sup>(3)</sup>. ونوّه سورانوس إلى أنه، في حال سبّب القماط ألماً للرضيع، فإنّه يُمكن للمربية أن تقوم بلفّ منطقة الصدر فقط، أو أن تتخلى عن القماط نهائياً، وتقوم باللباس الرضيع قميص بسيط بدلاً عنه<sup>(4)</sup>.

### 3- توقيت وطريقة التخلّص النهائي من القماط:

لم يلتزم الرومان بتوقيت مُحدد لتخليص الطفل من القماط بشكل نهائي، ولكن يُمكن القول أنّ معظمهم أبقوا الطفل في القماط لمدّة تتراوح بين (40) إلى (60) يوم، أو فترة أطول من ذلك بقليل<sup>(5)</sup>. في حين فضّل بعضهم الآخر إبقاء القماط حتّى تزول الأسباب الموجبة لوضعه، أي حتّى يغدو جسمه صلباً، ويزول الخوف من أن يقوم الرضيع بإيذاء أي عضو من أعضاء جسمه. عندها فقط يتمّ التخلّي عن القماط بشكل نهائي<sup>(6)</sup>.

والواقع، أنّ المصادر الطبية نَبّهت إلى أنّه لا يجب التخلّي النهائي عن القماط فجأة، بل يجب أن يتمّ ذلك بشكل تدريجي، فيتمّ أولاً تحرير اليدين، ثمّ الرجلين. وأنّ يتمّ البدء باليد اليمنى أولاً؛ لأنّه إذا تمّ تحرير اليد اليسرى قبلها، فإنّها ستغدو أكثر صلابة من

<sup>1</sup> Dasen. V: Des nourrices grecques à Rome? op, cit, pp 700, 701.

<sup>2</sup> Bagley. A. M: op, cit, p 123.

<sup>3</sup> Carroll. M: op, cit, p63.

<sup>4</sup> Soranus: Gynecology, II, 19, 42.

<sup>5</sup> Harlow. M And Laurence. R: op, cit, p42.

<sup>6</sup> Bagley. A. M: op, cit, p 113.

اليمنى<sup>(1)</sup>، وستغدو الأخيرة ضعيفة نسبياً مما قد يجعل الرضيع يتعوّد على استخدام اليد اليسرى في حياته، فيغدو، بالتالي، شخصاً أعسرّاً في المستقبل، وهو شيء لم يكن مُحَبَّباً في المجتمع الروماني<sup>(2)</sup>.

ومن حُسن الحظّ، أنّ الأبحاث الأثرية أكّدت وجود القماط، بصفته وجه من وجوه رعاية الرضيع في العصر الروماني، حيث عثر علماء الآثار على عدّد من الشواهد النظرية والمنحوتات التي تُصوّر الرضيع وهو ملفوف بقماط كامل، أو قماط جزئيّ وتحتة قميص بسيط كما أوّصت المصادر الطبية. وفيما يلي نموذجان عن تلك المنحوتات مع دراسة تاريخية لكل منهما:

أ- النموذج الأوّل:



الإطار	المصدر	دراسة الشكل
--------	--------	-------------

<sup>1</sup> Harlow. M And Laurence. R: op, cit, p42.

<sup>2</sup> Soranus: Gynecology, II, 19, 42.

الزماني		
<p>تعود المنحوتة إلى القرن الثالث الميلادي</p>	<p>هذه المنحوتة عبارة عن نُصب تذكاري أقامته مُربيّة تُدعى سيفيرينا (Severina) تخليداً لذكرى رضيع كانت تقوم بتربيته. وهي محفوظة اليوم في المتحف الروماني- الألماني في مدينة كولونيا (Cologne) الألمانية.</p> <p><u>الشكل مُقتبس من:</u> Bagley. A. M: op, cit, p 112.</p>	<p>يُمثّل الشكل الموجود أعلاه رضيع وهو ملفوف بقمط كامل، إذ لا يظهر من جسده إلا وجهه فقط. ووضِع الرضيع في سرير، ويبدو على الأغلب أنّه نائم. بجوار الرضيع تقف فتاة يبدو من خلال ملابسها والحزام التي تضعه حول خصرها أنّها من طبقة العبيد مما يدل على أنّ الرضيع ينتمي لأسرة ثرية قادرة على امتلاك العبيد. ومن المحتمل أنّ هذه الفتاة كانت تقوم إمّا بتغطية الرضيع أو هزّ سريره حتى ينام.</p>

ب- النموذج الثاني:



الإطار الزمني	المصدر	دراسة الشكل
<p>تعود المنحوتة إلى حوالي العام 150م.</p>	<p>هذه المنحوتة جزء من مشهد عام موجود على الواجهة الأمامية لتابوت رخامي يسرد السيرة الذاتية لطفل روماني يُدعى ماركوس كورنيليوس ستاتيوس ( Marcus Cornelius Staius). وهذا الطفل مات صغيراً؛ لذلك أقامت عائلته هذا التابوت لتخليد ذكراه.</p> <p>عُثر على التابوت في مدينة أوستيا (Ostia) الإيطالية، وهو محفوظ اليوم في متحف اللوفر الفرنسي (قسم الآثار اليونانية والأثرورية والرومانية) في مدينة باريس.</p> <p><u>الشكل مُقتبس من:</u> Evans. J. K: War, Women and Children in Ancient Rome, 2 nd edition, Routledge, London, 1991, p 114.</p>	<p>يُمثل هذا الشكل الموجود أعلاه رضيع ملفوف بقمط جزئي، إذ وبالرغم من أنّ يديه ورجليه خارج القمط، إلا أنه تمّ لفّ الضمادات العريضة بشكل دائري حول الصدر فتبدو كأنها مشدّة لمنطقة الصدر. وهذا يؤكّد ما تمّت الإشارة إليه سابقاً بخصوص تفريق الرومان بين قمط الرضيع وقمط الرضيعة. ويمكن ملاحظة أنّ الرضيع يلبس تحت القمط قميص بسيط؛ لذلك، من المحتمل أنّ الرضيع لم يتحمّل القمط الكامل وسبّب له مشاكل، لذلك استعويض عنه بالقميص مع الحفاظ على ضمادات حول منطقة الصدر.</p> <p>ويؤكّد هذا النوع من القمط على أنّ الرضيع الظاهر في المنحوتة هو ذكر وليس أنثى. وأنّ الرومان كانوا يأخذون بتوصيات الأطباء الرومان بخصوص طريقة لفّ القمط.</p>

سادساً: حمام الرضيع:

يحتاجُ الرضيعُ إلى حمّامٍ دوريٍّ، حفاظاً على نظافته ونشاطه. وربط الأطباء الرومان بين نظافة الرضيع من جهة وهدوئه وراحته من جهة أخرى. فأشار جالينوس أنه، وخلال مسيرته الطبية، عُرض عليه رضيع كان، دائماً، يبكي ويضطرب بشدّة، فلما عينه وجده متّسخ كثيراً، وفراشه متسخ، فأمر بتنظيفه وغسله وتنظيف فراشه، عندئذ سكن الرضيع، ونام مرتاحاً<sup>(1)</sup>.

ونوّه جالينوس إلى أنّ الحمام الدوري للرضيع ضروري في المحافظة على رطوبة جسده. ويعود تنويه جالينوس هذا إلى نظريته في الطبّ، تلك النظرية التي تقول، أنّ الرضّع يمتلكون أجساماً أكثر رطوبة من باقي الفئات العمرية؛ لذلك كان لا بدّ من الاحتفاظ بمستوى معين من الرطوبة في أجسادهم<sup>(2)</sup>.

والحقيقة، أنّ وجهة نظر جالينوس هذه أخذها عن أبقرات الذي أكّد، هو أيضاً على أهمية حمام الرضيع، فأورد: ” جميع العلاجات الرطبة مفيدة للحمى، وخاصة للأطفال... في الطفولة لا تُعتبر الرطوبة مرضاً، وإنّما تتوافق مع الطبيعة، ويكون أكثر ما يشبهها (أي للرطوبة) مفيداً.. لذلك ينبغي على المرء عدم تجفيف الأطفال، بل يجب تغذيتهم وفقاً للطبيعة“<sup>(3)</sup>.

وقدّم الأطباء الرومان توصيات وإرشادات مهمّة بخصوص حمّام الرضيع. ومن خلال دراسة تلك التوصيات، يُمكن القول أنّ الرومان اتّبَعوا نمطاً محدداً في حمام الرضيع، ذلك النمط يمكن توضيح معالمه في النقاط التالية:

1- في الوقت الذي استحمّ فيه معظم الأطفال قبل الرضاعة، فإنّ بعض المربيّات كُنّ يغسلن الرضيع بعد مرور بعض الوقت على الرضاعة. وهذه النقطة أكّد عليها جالينوس الذي بيّن أنّه لا يجوز أن يستحمّ الطفل بعد الرضاعة مباشرة، بل يجب الانتظار فترة من الزمن حتّى تكتمل عملية الهضم، أو أن يتمّ الحمام قبل الرضاعة ليكون الرضيع نظيف

<sup>1</sup> البلدي: تدبير الحُبالي والأطفال والصبيان، ص 195.

<sup>2</sup> Galen: On preserving health, I, 7.

<sup>3</sup>Hippocrates: Aphorisms, I, 16. ; Galen: On the therapeutic method, VIII, 9.

ومعدته فارغة<sup>(1)</sup>. كما نوه روفوس الأفسوسي إلى إمكانية إصابة الرضيع بتشنجات مُضرة أو أمراض خطيرة، مثل الصرع، في حال استحم بعد الرضاعة مباشرة<sup>(2)</sup>.

2- كانت المربية تُجري الحمام للرضيع خلال النهار، وكانت تتجنب غسله في الليل<sup>(3)</sup>.

3- حرصت المربية على غسل الرضيع مرّة واحدة في اليوم<sup>(4)</sup>. وهذه النقطة أكد عليها سورانوس الذي رأى أنّ الاستحمام المفرط يضرّ بالرضيع على اعتبار أنه يُضعف جسمه، ويجعله مهياً للإصابة بالعديد من الأمراض<sup>(5)</sup>.

4- في الفترة التي تعقب ولادة الرضيع، كانت المربية تجلب وعاء الاستحمام إلى غرفته. ولكن بعد أن يشتدّ عوده قليلاً، كانت تأخذه إلى الغرفة الخاصة بالاستحمام.

5- قامت المربية باتخاذ احتياطات معينة خلال حمام الرضيع، منها درجة حرارة معتدلة لغرفة الاستحمام، على اعتبار أنّ الجو الحارّ يجعل الرضيع يعاني من صعوبة في التنفس. وخلال الأيام الأولى من حياة الرضيع، كانت المربية تستخدم مياه دافئة قليلاً خلال الحمام، ولكن لاحقاً، كانت تقوم بتعويد الرضيع على الاستحمام بمياه فاترة<sup>(6)</sup>.

6- بعد الانتهاء من الحمام، كانت المربية تقوم بوضع فمها على أذني الرضيع وفمه، لتشفط الماء الذي قد يكون دخل إليهما خلال الحمام. وأوضح سورانوس أنّ هذه الخطوة ضرورية؛ بهدف تجفيفهما من الرطوبة التي تُضرّ بقنوات الرضيع الحساسة<sup>(7)</sup>.

والحقيقة، أنّ هذا النمط الذي اتبعه الرومان في حمام الرضيع، يدلّ على مدى العناية التي أولاها الرومان لصحة أطفالهم، كما يدلّ على أنّ طبّ الأطفال في العصر الروماني قطع أشواطاً كبيراً، حيث أنّ هذا النمط مُستمدّ بكامله من توصيات وإرشادات الأطباء الذي يبدو بوضوح أنّهم اعتنقوا أفكار الطبّ التجريبي القائم على الملاحظة والعلة.

<sup>1</sup> Galen: On the therapeutic method, 1, 10.

<sup>2</sup> Rufus, in Oribasius: Liber incertus, Collectiones medicae, XX, 9.

<sup>3</sup> Soranus: Gynecology, II, 16, 30- 31.

<sup>4</sup> Galen: On preserving health, I, 10.

<sup>5</sup> Soranus: Gynecology, II, 16, 30.

<sup>6</sup> Soranus: Gynecology, II, 16, 31.

<sup>7</sup> Soranus: Gynecology, II, 16, 35.



ومن الأهمية بمكان القول، أنّ الأطباء الرومان أوصوا المُرِيَّةَ بأنْ تقوم بتدليك جسد الرضيع بالملح وبزيت الزيتون الصافي، وأنْ تقوم بتشكيل ملامحه وتدليك مفاصله أثناء حمامه، ونوّهوا إلى أنّ هذه العملية يجب أن تستمر خلال الأربعين يوم الأولى من حياة الرضيع<sup>(1)</sup>.

### سابعاً: تغذية الرضيع:

يُشكّل غذاء الرضيع عاملاً حاسماً في حياته، ويعكس ناحية مهمّة من نواحي رعايته. ويعتمد الرضيع، خلال السبعة شهور الأولى، أي قبل بزوغ أسنانه، على الحليب كغذاء وحيد، ليبدأ فيما بعد دخول عناصر غذائية أخرى تُشكّل، مع الحليب، برنامجَه الغذائي حتّى يتمّ فطامه. هذا البرنامجُ الغذائي الذي رأى أرسطو وأفلاطون أن له الأثر الأكبر على القوة الجسمانية للطفل، وأنّه يجب أن يُحقّق أكبر فائدة لجسم الطفل وعقله<sup>(2)</sup>. وسيتمّ في هذه الفقرة دراسة غذاء الرضيع قبل بزوغ أسنانه (أي الرضاعة فقط)، وغذائه بعد بزوغ أسنانه (أي الغذاء العادي المتداخل مع الرضاعة).

### 1- الرضاعة:

من البديهي القول، أن الحليب يُشكّل الغذاء الوحيد للرضيع قبل بزوغ أسنانه في الشهر السابع تقريباً. ويبدو من خلال دراسة المصادر الأدبية والأثرية، أنّ الطفل الروماني اعتمد في تغذيته على نوعين من أنواع الحليب. النوع الأول: هو الحليب الطبيعي (الرضاعة الطبيعية)، وكان مصدره الأمّ أو أية مرضعة أخرى. أمّا النوع الثاني: فهو الحليب الاصطناعي، وكان يعتمد بشكل كامل على حليب الحيوانات الأليفة مثل الماعز والأغنام وغيرها.

وشجّعت المصادر الأدبية، الطبيّة وغير الطبيّة، على النوع الأول (الرضاعة الطبيعية) لما له من فوائد كبيرة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بجسم الطفل وصحّته في المستقبل<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> Galen: On preserving health, I, 10. ; Soranus: Gynecology, II, 15, 35.; II, 16, 32.

<sup>2</sup> أرسطوطاليس: السياسة، ص286. ؛ أفلاطون: القوانين، ص 317.

<sup>3</sup> Galen: On preserving health, I, 7. ; Soranus: Gynecology, II, 11, 18.

وأثبتت الدراسات الطبية الحديثة أهمية الرضاعة الطبيعية في حماية الطفل من العديد من الأمراض مثل هشاشة العظام أو الكساح، وفي تقوية أسنانه وشعره، وإدراكه الذهني والحركي. والحقيقة أنّه، حتى يومنا هذا، يتم اتهام الأمهات، اللواتي يُرضعن أطفالهنّ الحليب الاصطناعي، بحرمان طفلهم من الفوائد الجسدية والعاطفية التي تحتويها الرضاعة الطبيعية. لا بل قد يُنظر إلى الرضاعة الاصطناعية على أنّها

وأوصت تلك المصادر على ضرورة أن تقوم الأم بإرضاع طفلها بنفسها لأن ذلك يساهم في تقوية الرابطة العاطفية بينها وبينه<sup>(1)</sup>، كما هاجمت امتناع بعض نساء الطبقة الثرية عن إرضاع أطفالهن بأنفسهن، وتوظيف مُرضعة لتقوم بهذه المهمة<sup>(2)</sup>. وقد لاقت توصيات الأدباء والأطباء الرومان أذان صاغية لدى بعض أفراد الطبقة الرومانية الثرية المحافظة، فقام بعض النسوة بإرضاع أطفالهن بأنفسهن. في حين أن البعض الآخر، وهم القسم الأكبر، لم يُعزّن اهتماماً لتلك التوصيات؛ لذلك فضّلن توظيف مرزعة مُختصة لترضع أطفالهن<sup>(3)</sup>.

مؤشّر على عدم أهلية الأم وكفاءتها الأسرية. انظر: محمد السيد، عبد الباسط: تغذية الطفل" أساسيات التغذية في المراحل العمرية"، شركة ماس للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010م، ص 11- 14، 27، 46-50؛

Maher. V: "The anthropology of breastfeeding" Natural law or social construct" ? Oxford: Berg, 1992, pp 3, 10.

<sup>1</sup> Plutarch: *Moralia*, "The Education of Children", V. ; Aulus Gellius: *The Attic Nights of Aulus Gellius*, XII, 22. ; Tacitus: *Germania*, XX, 1.

كذلك: بلوتارك: تاريخ أباطرة وفلاسفة الاغريق، ص 714.

<sup>2</sup> لم يكن لدى الطبقات المتوسطة والفقيرة في المجتمع الروماني القدرة على توظيف مرزعة؛ ذلك أنّ هذا الأمر كان يحتاج إلى تكاليف مالية لا يستطيع تحملها إلا من كانت أحواله المادية جيدة، أو يمتلك العبيد. وهذا الخيار الأخير كان بحاجة، أيضاً، إلى أسرة ميسورة الحال؛ لذلك فقد قامت نساء تلك الطبقات بإرضاع أطفالهن بأنفسهن. ومع الأسف، فإنّه لا يوجد معلومات في المصادر عن إرضاع الأطفال في أوساط الطبقات الفقيرة، واقتصرت المعلومات على الطبقة الثرية فقط. انظر:

Laes. C: *Children in the Roman Empire " Outsiders Within"*, Cambridge University Press, Cambridge, 2011, p69.; Harlow. M And Laurence. R :op, cit, p 41. ; Dasen. V: *Des nourrices grecques à Rome?*; op, cit, 699.

أمّا عن أسباب قيام بعض الرومان بتوظيف مرزعة فهي مُتعدّدة، ولكن أهمها كان اعتبار النساء الثريات أنّ الرضاعة لا تتناسب مع مركزهن الاجتماعي، كما رأى بعض النساء أنّ الرضاعة تؤدي لإفساد بشرتهن ومظهرهن العام؛ لذلك امتنعن عن إرضاع أبنائهن بأنفسهن، وأسندن هذه المهمة إلى مرزعات مختصات. انظر:

Soranus: *Gynecology*, II, 11, 18. ; Dixon. S: *The Roman Mother*, London & Rutledge, 1990, p123. ; Salmaso. R: op, cit, p 20.

كذلك: فارس، دعاس: مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب القديم، ص 193.

والحقيقة، أنّ موضوع " المرزعات في العصر الروماني"، موضوعٌ شائكٌ ومهمٌ، ويحمل أبعاداً متعددة لا مجال للتوسّع بها في هذا البحث. مع التنويه إلى أنّ الباحث سيجاول جهده، إن شاء الله، في سبيل تخصيص بحث أكاديمي مستقل يُعالج هذا الموضوع.

<sup>3</sup> Dasen. V: *Construire sa parenté par la nourriture à Rome*, in ' Art de manger, art de vivre. Nourriture et société de l'Antiquité à nos jours", avec Marie-Claire Gérard-Zai (dir.), Gollion, Switzerland, infolio, 2012, pp 41- 43.

وقيام بعض النسوة الثريات بإرضاع أطفالهنّ مُثبت في المصادر الأدبية، ذلك أنّه من ضمن نصائح الطبيب سورانوس الخاصّة بالرضاعة، وردت نصيحة تقضي بوجود إبعاد الرضيع عن حليب أمّه خلال الأسابيع الأولى من ولادته (يُعرف هذا الحليب باسم اللبأ)، وبّرّ الطبيب اليوناني نصيحته الطبيّة هذه بقوله: ” لأنّ حليب الأم في معظم الحالات يكون غير صحيّ لمدة عشرين يوماً؛ لأنّه يكون كثيفاً، وقوامه كثيف جداً، وبالتالي يصعب على الرضيع هضمه“. لا بل قام سورانوس بتوبيخ الأسر الرومانية التي قامت نساءها بإرضاع أطفالهنّ بأنفسهنّ خلال الأسابيع الأولى التي تلت عملية الولادة<sup>(1)</sup>. وفي ضوء معرفة الباحثين أنّ مُجمل نصائح وإرشادات سورانوس كانت موجّهة إلى الطبقات الثرية<sup>(2)</sup>؛ لذلك يمكن الاستدلال أنّ ذلك التوبيخ كان موجّهاً للنساء الثريات اللواتي كنّ يُرضعن أطفالهنّ بأنفسهنّ.

ومن الأهمية بمكان القول، أنّ المصادر الطبيّة أدركت الترابط بين نوعيّة الغذاء الذي تتناوله المُرضعة وبين جودة حليبها<sup>(3)</sup> وبالتالي صحّة الرضيع. لذلك فقد رأت، في حالات متعدّدة، أنّه يمكن علاج بعض أمراض الرضع من خلال التزام المُرضعة بنظام غذائي متوازن<sup>(4)</sup>. كما توجّب على المُرضعة الابتعاد عن كل ما قد يُؤثّر على صحتها وصحة الرضيع. لذلك أوصى جالينوس المُرضعة بالابتعاد عن شرب الخمر، أو الجِماع والحملّ طوال فترة إرضاعها؛ لأنّ ذلك يُفسد علاقتها بالرضيع ويؤدّي إلى تقليل كميّة الحليب لديها<sup>(5)</sup>. كما أوصى سورانوس المرأة المُرضعة بأنّ تتجنّب الخمول والكسل؛ لأنّ

<sup>1</sup> Soranus: Gynecology, II, 11, 18.

تجدر الإشارة إلى أنّ نصيحة سورانوس هذه كانت خاطئة، تماماً، إذ أنّ حرمان الطفل من اللبأ يحمل مخاطر صحّيّة على الرضيع. وسيتمّ التطرّق إلى أهميّة اللبأ وفوائده الصحية على الرضيع في فقرة لاحقة. انظر الصفحة(48) من هذا البحث.

<sup>2</sup> Harlow. M And Laurence. R: op, cit, p 41.

<sup>3</sup> قدّم سورانوس مقارنة جميلة بخصوص حليب المرأة المُرضعة، وانعكاس طعامها عليه، فأورد: ” حليب الماعز له طعم كزيبه ولاذع؛ لأنّ الماعز تتغذى على عشب من هذا القبيل. بينما لبن الغنم طيب المذاق وحلو؛ لأنّ الشاة تتغذى على عشب من هذا القبيل“. انظر:

Soranus; Gynecology, II, 14, 26.

<sup>4</sup> البلدي: تدبير الخبالي والأطفال والصبيان، ص 236.

<sup>5</sup> Galen; On preserving health, I, 9.

ذلك يجعل الحليب كثيفاً ويصعب هضمه، وبأن تُرضع الطفل عدّة مرات في اليوم بفواصل لا يقلّ عن ثلاث ساعات بين فترات الرضاعة<sup>(1)</sup>.

وشدّد سورانوس على ضرورة فصل الطبّ عن العادات والتقاليد الموروثة؛ لذلك أوصى بالابتعاد عن بعض العادات الخاطئة، التي كان يلجأ إليها بعض النسوة في عصره بهدف زيادة كمية الحليب؛ مثل إعطاء المُرضعة أثناء بعض الحيوانات لتأكلها، أو حرق البُوم والخفّاش ورشّ رمادها في الطّعام، أو دهن الصدر ببعض السوائل السحرية<sup>(2)</sup>. ومن حُسن الحظّ، أنّ الدراسات الأثرية أكّدت قيام بعض النساء من الطبقات الثرية، بإرضاع أبنائهنّ بأنفسهنّ. إذ جرى نحت مشهد لأُمّ تُرضع طفلها، وفيما يلي شكل توضيحي لذلك المشهد مع دراسة تاريخية له:

<sup>1</sup> Soranus: Gynecology, II, 11, 13.

<sup>2</sup> من الطبيعي أنّه في مجتمع، كالمجتمع الروماني، وُجد منذ مئات السنين السالفة، أنّ يكون للمعتقدات الدينية والآلهة والسحر دور كبير في جميع مفاصل الحياة. والحقيقة، أنّ رعاية الرضع لم تكن استثناءً، إذ وعلى الرغم من الإمبراطورية الرومانية ضمّت عدداً من كبار الأطباء في تاريخ الإنسانية من أمثال جالينوس ورفوس الأفسوسي وسورانوس، إلّا أنّ الكثير من الناس كانوا يعزّون المرض إلى غضب الآلهة؛ لذلك كان لا بدّ من اللجوء إلى ممارسات سحرية وتعاويذ وتمايم لرفع ذلك المرض. وأشار العالم بليني الأكبر (Pliny the Elder)(23-79م)، في فقرات متعدّدة من كتابه "التاريخ الطبيعي"، إلى دور السحر والآلهة في رعاية الرضع. انظر:

Pliny the Elder: Natural History, XXX, 30.

كما أشار الشاعر الروماني هوراس (Horace)(65-8 ق.م) إلى أمّ تتوسل إلى الإله جوبيتر (Jupiter)، كبير الآلهة الرومانية، ليشفى طفلها الذي عانى من المرض لعدّة أشهر. انظر:

Horace: Satires, II, 3, 288.

وتردّدت الإشارة إلى الآلهة في العديد من مراحل رعاية الرضيع، حيث كان للإلهة ديانا (Diana) دور مهمّ بوصفها راعية للنساء خلال الولادة وحامية للرضع. كما قامت الإلهة ديميتر (Demeter) بدور الأمّ والممرضة في الميثولوجيا اليونانية والرومانية. كما ارتبطت الإلهة جونو (Juno) بالزواج الشرعي وبالرضاعة الطبيعية للطفل. انظر:

Salmaso. R: op, cit, 7.

كما أشار الإمبراطور الروماني ماركوس أوريليوس (Marcus Aurelius)(121-189 م) إلى أنّ الرجال الرومان، في أيامه، كانوا يقدمون الصلوات للآلهة للحفاظ على حياة أطفالهم؛ لذلك نصّحهم بأنّ يُصلّوا من أجل أنّ تمنحهم الآلهة القوة والصبر على خسارة أبناءهم، لأنّهم سيموتون سيموتون بكل الأحوال. انظر: أوريليوس، ماركوس: التأمّلات، ترجمة: عادل مصطفى، مراجعة وتصدير: أحمد عثمان، مؤسسة هنداي سي أي سي، وندسور، المملكة المتحدة، 2019م، ص 131.

ومن البيهيمي القول هنا، أنّ كبار العلماء مثل، أرسطو، وأبقراط، وجالينوس، وسورانوس وغيرهم، رفضوا هذه العلاجات السحرية، ونفوا أيّ دور للآلهة الوثنيّة في رعاية الرضع. وقد أشار أرسطو، صراحةً، إلى أنّه يجب على الناس الرجوع إلى الأطباء وعلماء الطبيعة فيما يتعلّق بابنائهم. انظر: أرسطوطاليس: السياسة، ص 283.



الإطار الزمني	المصدر	دراسة الشكل
تعود المنحوتة إلى حوالي العام 150م.	هذه المنحوتة جزء من مشهد عام موجود على الواجهة الأمامية لتابوت الطفل ماركوس كورنيليوس ستاتيوس. وقد جرت الإشارة في شكل سابق إلى هذا	يُمثّل المشهد، الموجود أعلاه، سيّدة رومانية تجلس على كرسي فخم، وفي حضنها طفلها وهي تقوم بإرضاعه. ويُمكن، من خلال طريقة جلوس الرضيع في حضن الأم، ووضع يدها تحت رأسه ملاحظة مدى العاطفة الأمومية والحنان الذي تُظهره الأم لطفلها. كذلك فإنّ طريقة وقوف الأب في مواجهة الأم، ووضع يده تحت ذقنه،

<p>التابوت (راجع الصفحة 29). الشكل مُقتبس من: Evans. J. K: op, cit, p 114.</p>	<p>ومراقبتها لها وهي ترضع طفلها، كل ذلك يعكس مدى اهتمام الأب بطفله، ومدى العاطفة الأبوية التي يُكنّها له. أما الرضيع، فيظهر وهو يرتدي قميص بسيط، وفوقه قماط جزئي، سبقت الإشارة إليه في فقرة سابقة (راجع الصفحات 27، 29). ويده اليسرى تُمسك برداء أمّه. والجو العام للمنحوتة يُظهر أنّ هذه الأسرة تنتمي إلى طبقة راقية. فالكرسي الذي تجلس عليه السيّد الرومانية، كرسي فخم، وطريقة تسريحة شعرها كانت منتشرة بين سيّدات الطبقة الثرية. والأب أيضاً يبدو، من خلال ما يظهر من عباة أنه من الطبقة الثرية. ومن المحتمل أنّ هذه الأسرة، التي تظهر في الصورة، كانت أسرة ثرية محافظة، أيّ كانت تتمسك بالتقاليد الرومانية التي تفرض على الأم إرضاع طفلها بنفسها. وبطبيعة الحال، فإنّ صنع تابوت فخم كالتابوت الذي جرى نحت هذا المشهد عليه يحتاج إلى رفاهية مادية لا تتوفّر إلا لأثرياء الرومان. وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه مشهد الرضاعة هذا يؤكد بوضوح أنّ الرومان كانوا يظهرون لأطفالهم العاطفة والحنان. ولم يكونوا، جميعهم، يبعدونهم عن أعينهم خلال فترة الرضاعة.</p>
--	--

أما الطبقات الرومانية الفقيرة، التي لم يكن لديها القدرة المادية على توظيف مُرضعة، في حالة عدم قدرة الأمّ على إرضاع طفلها، كانت تلجأ إلى الرضاعة

الاصطناعية والتي تتمثل بإطعام الطفل الحليب الحيواني (أغنام، ماعز بالدرجة الأولى)، وكان يُستخدم في إطعام الطفل زجاجات ومضخات شبيهة بالتي تُستخدم في أيامنا هذه<sup>(1)</sup>. وعثرت الأبحاث الأثرية على عدد من تلك المضخات، وبقيت أدوات زجاجية كانت تُستخدم لإطعام الرضيع<sup>(2)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى، أنه في حالة الرضاعة الاصطناعية، كان معظم الرومان يلجؤون إلى الفطام المبكر للرضيع أي قبل بلوغه الشهر السابع من حياته<sup>(3)</sup>. كما كانت الرضاعة الاصطناعية تحمل مخاطر كبيرة على حياة الرضيع؛ ذلك أن الحليب الحيواني لا يُناسب جسد الرضيع، إذ يعجز عن هضمه وامتصاصه نظراً لكثافته وقوامه الصلب<sup>(4)</sup>. كما أن العديد من الأدوات المستخدمة في هذا النوع من الرضاعة لم تكن مُعمّمة، أضف إلى أن الفطام المبكر كان يؤدي، في أغلب الحالات، إلى موت الرضيع لعدم حصوله على كفايته من الحليب<sup>(5)</sup>.

## 2- الغذاء العادي المتداخل مع الرضاعة\*:

عند بزوغ أسنان الرضيع، في الشهر السابع، تقريباً، يغدو قادراً على مضغ الطعام<sup>(6)</sup>؛ لذلك تبدأ الأسرة بإدخال أغذية أخرى إلى طعامه بهدف تعويده على الطعام العادي أولاً، ولتقوية بنيته الجسدية ثانياً، ولتهيئته لمرحلة الفطام ثالثاً<sup>(7)</sup>. وعلى اعتبار أن الطفل يكون حديث العهد بالمضغ والطعام العادي؛ لذلك فقد توجب على مُربيته أن تكون على دراية بأنواع الأطعمة التي يجب أن تُدخلها في غذاءه،

<sup>1</sup> Salmaso. R: op, cit, pp 59- 62

<sup>2</sup> Baker.P: The Archaeology of Medicine in the Greco-Roman World, Cambridge: Cambridge University Press, 2013, p 27.

<sup>3</sup> Sparreboom. A: Wet-nursing in the Roman Empire Indifference" efficiency and affection", Master's thesis supervised by: Dr. A. M. Derks, VU University, University of Amsterdam, August, 2009, p 10.

<sup>4</sup> Soranus: Gynecology, II, 11, 18. ; Salmaso. R: op, cit, p 20.

<sup>5</sup> Sparreboom. A; op, cit, p 10.

\* يُطلق الطب الحديث على الأغذية المتداخلة مع الرضاعة مصطلح "الأغذية التكميلية". انظر: محمد السيد، عبد الباسط: تغذية الطفل، ص 50- 53.

<sup>6</sup> Dasen. V: Roman Childhood Revisited, op, cit, p 109.

<sup>7</sup> Soranus: Gynecology, II, 11, 13.

بالتوازي مع رضاعته الحليب؛ لأنّ نوعية هذه الأطعمة تساهم بدور كبير في نموه بالشكل الأمثل<sup>(1)</sup>.

ومن خلال دراسة المصادر الطبيّة، يُمكن القول أنّ مُرَبّيات الرُّضّع كانوا يطعمونهم في هذه المرحلة مكونات غذائية أساسية، شملت الخبز الممزوج بالحليب أو باللبن أو بالعسل<sup>(2)</sup>. كما كانوا يقومون بتفتيت الخبز جيداً حتى يكون بإمكان الرضيع مضغه. وتجنّبوا إعطائه أي طعام لاذع أو حار؛ لأنّه لا يستطيع هضمه، ولأنّه قد يُسبب له مشاكل في معدته. كما شمل غذاء الرضيع المتداخل مع الرضاعة حساء القمح والبيض، مع إمكانية إعطائه القليل من الماء بمفرده ليشربه، بعد وجبته<sup>(3)</sup>.

ويُشير جالينوس إلى أنّ بعض النسوة كنّ يمضغن الطعام ثمّ يضعنه في فمّ الطفل، فيورد: ” في البداية ، أطعمي الطفل الصغير الحليب فقط. ولكن عندما تبرز أسنانه الأمامية، يجب تعويده على المزيد من الطعام الصّلب، مثل ما تفعل النساء بالتأكيد؛ يُعطون الخبز أولاً، وبعد ذلك مباشرة الخضار واللحوم وجميع أنواع الطعام من نفس النوع الذي يمضغونه مسبقاً ويضعونه في فم الطفل الصغير“<sup>(4)</sup>.

ومن الأهمية بمكان القول، أنّ الأبحاث الأثرية قد ساهمت، هي الأخرى، في التعرّف على أصناف من الأطعمة التي تناولها الرضع قبل الفطام في العصر الروماني. إذ تبيّن لعلماء الآثار، من خلال دراسة بقايا الهياكل العظمية لرضع من مختلف أنحاء الإمبراطورية الرومانية، أنّ الوجبات الغذائية لهؤلاء الرضع كانت تختلف بحسب المنطقة

<sup>1</sup> Athenaeus, in Oribasius: Liber incertus, Collectiones medicae, XXI.

<sup>2</sup> Dasen. V: Iconographie Et Archéologie Des Rites De Passage De La Petite Enfance Dans Le Monde Romain, op, cit, p 241.

<sup>3</sup> Galen: On preserving health, I, 9. ; Soranus; Gynecology, II, 11, 23. ; Rufus, in Oribasius: Liber incertus, Collectiones medicae, XIV. ; XX, 23. ; VII, 12.

كذلك: البلدي: تدبير الخبالي والأطفال والصبيان، ص 210. والحقيقة، أنّ الأغذية التي ذكرتها المصادر الأدبية تتوافق إلى حدّ كبير مع الأغذية التي يُوصي بها الطبّ الحديث. مما يدلّ على المستوى المتقدّم الذي بلغه الطبّ الروماني. وللمقارنة بين الأغذية التي ذكرها الأطباء الرومان، وبين الأغذية التي يوصي بها الطبّ الحديث. انظر: محمد السيّد، عبد الباسط: تغذية الطفل، ص37، 38.

<sup>4</sup> Galen: On preserving health, I, 10. ; Soranus: Gynecology, II, 17.



الجغرافية التي كانوا يعيشون فيها. ففي منطقة كوينفورد (Queen ford) في ولاية بريطانية الرومانية تبين أنّ غذاء الرضع الأساسي كان الأسماك النهرية والحبوب واللحوم. والحقيقة، أنّ منطقة كوينفورد تقع على نهر التايمز (Thames)، وهي منطقة خصبة؛ لذلك من الطبيعي أنّ يكون الغذاء الأساسي للسكان فيها السمك النهري والمنتجات النباتية التي تُزرع في هذه المنطقة. أمّا في منطقة ليبتيمينوس (Leptiminus) في ولاية قرطاج (Carthage) الرومانية فتبين لعلماء الآثار أنّ غذاء الرضع الرئيسي في مرحلة ما قبل الفطام كان القمح والشعير. أمّا في المناطق الداخلية الفقيرة، المحيطة بالعاصمة روما، فكان الغذاء الأساسي يتكوّن من الدخن. والحقيقة، أنّ الدخن كان الغذاء الرئيسي للطبقات الاجتماعية الفقيرة؛ لذلك من الطبيعي أنّ يعتمد غذاء الرضيع عليه بشكل أساسي. واشتركت منطقة واحة الداخلة في مصر مع المناطق الفقيرة في روما باستخدام الدخن كغذاء في مرحلة ما قبل الفطام<sup>(1)</sup>.

والواقع، أنّه من خلال مقارنة الأطعمة التي ذكرتها المصادر الأدبية، كغذاء للرضع، مع نتائج الأبحاث الأثرية، يبدو بوضوح أنّ معظم السكان في الإمبراطورية الرومانية لم يكونوا يلتزمون بتلك التوصيات، بل كانوا يعتمدون على ما توفره المنطقة الجغرافية التي يعيشون فيها من منتجات نباتية أو حيوانية. وهذا يبدو طبيعياً، إلى حدّ ما، ذلك أنّ الأطعمة التي أوصى بها الأطباء كانت أطعمة فاخرة لا تتناسب مع دُخُل جميع الطبقات في المجتمع الروماني. وهذا تأكيد آخر على أنّ توصيات الأطباء الرومان كانت توصيات مثالية مُوجّهة، بمعظمها، إلى الطبقات الراقية من المجتمع الروماني.

#### ثامناً: بكاء الرضيع، وطُرق التعامل معه:

يبدأ الرضيع حياته بالبكاء، ولا يملك طوال السنة الأولى من حياته، تقريباً، أيّة وسيلة للتعبير عن مشاعره ورغباته وأوجاعه إلا البكاء<sup>(2)</sup>؛ لذلك فإنّ بكاءه قد يكون حالة صحية في حال استمرّ لفترة قصيرة، وقد يكون حالة مرضية يجب التعامل معها في حال استغرق وقتاً طويلاً. وقد وعت المصادر الأدبية هذه الناحية من حياة الرضيع في كلا الحالتين، أي عندما يكون البكاء حالة طبيعية، وعندما يكون حالة مرضية. فرأى أرسطو

<sup>1</sup> Bagley. A. M: op, cit, p 138, 139.

<sup>2</sup> أفلاطون: القوانين، ص323.

أن بكاء الطفل هو وسيلة لنموه، وأنه مُفيد لصحته، وشبهه بالتمارين التي يقوم بها الرضيع لتقوية عضلاته وحواسه<sup>(1)</sup>.

سورانوس، أيضاً، ذكّر، البكاء الطبيعي للرضيع، فأشار إلى أن بكاء الطفل في اللحظة التي تعقب ولادته يُعتبر دليلاً على صحته الجسدية. كما أشار في موضع آخر إلى أن بكاء الرضيع مُفيد في هذه المرحلة من حياته؛ لأنه بمثابة التمارين الرياضية التي تُحسّن وظائف جهازه التنفسي وتُساعده على الهضم<sup>(2)</sup>.

أمّا فيما يخصّ الحالة الثانية، أي عندما يستمر بكاء الطفل لفترة طويلة، وهنا يُخشى من أن يكون حالة مرضيّة، فقد أكّدت المصادر الأدبية على ضرورة عدم التهاون معها. فأورد روفوس الأفسوسي مقطعاً مهماً حدّر فيه من البكاء المستمر للرضيع؛ لأنه قد يؤدي إلى إصابته بالصرع، فقال: ” من الضروري تهدئة الصرخات الشديدة لأنها تُهدد بخطر حدوث تشنجات تُعرّض الطفل لخطر الإصابة بالصرع“<sup>(3)</sup>. كما أشار سورانوس إلى التأثيرات السلبية، المحتملة، للبكاء الطويل للرضيع، فذكر أنه يجب تهدئة الرضيع، وعدم تركه يبكي لفترة طويلة؛ لأنّ ذلك قد يؤدي عينيه، ويؤدي أعماءه، ويُلحق ضرراً كبيراً بنفسه وجسده<sup>(4)</sup>.

جالينوس، أيضاً، ذكّر أنّ البكاء لفترة طويلة قد يكون تعبيراً عن مشكلة ما يعاني منها الرضيع<sup>(5)</sup>. فأورد في هذا السياق: ” غالباً ما يكون وينفعلون (يقصد الرضع) لأنهم في مرحلة التسنين (يقصد بزوغ الأسنان)، أو ينزعجون من شيء خارجي، أو لأنهم يريدون التغطّو أو التبول أو الأكل أو الشرب.. أحياناً.. يرغبون في الدفء.. أو بحاجة للتبريد“<sup>(6)</sup>.

أمّا سورانوس فرأى أنّ هناك أسباب متعدّدة قد تكون هي السبب في بكاء الطفل، من تلك الأسباب شعوره بالجوع، أو بالبرد، أو بالحرارة الزائدة، أو لأنه يُعاني من

<sup>1</sup> ارسطوطاليس: السياسة، ص 287.

<sup>2</sup> Soranus: Gynecology, II, 12, 9.

<sup>3</sup> Rufus, in Oribasius: Liber incertus, Collectiones medicae, XXI, 26, 270.

<sup>4</sup> Soranus: Gynecology, II, 17, 40.

<sup>5</sup> البلدي: تدبير الخبالي والأطفال والصبيان، ص 195.

<sup>6</sup> Galen: On preserving health, I, 8.

الإمساك، أو لأته مُنزعج من ضيق ثيابه عليه، أو لأته مُصاب بتقرحات جلدية<sup>(1)</sup>. كما أرجع سورانوس سبب بكاء الطفل إلى تقصير محتمل من مُربيته، وعدم امتلاكها الموهبة في رعاية الرضيع. فذكر بهذا الخصوص: ”بعض المُربيات يفترن إلى التعاطف مع الرضيع لدرجة أنهنّ لا ينتبهن إليه عندما يبكي لفترة طويلة“<sup>(2)</sup>.  
والحقيقة، أنّ المصادر التاريخية أشارت إلى طرق متعددة يتم، عبرها، إسكات الرضيع وتهديته. ففي حال كان بكاء الرضيع لألم لحق به، فتوجّب على القائمين على رعايته معالجته ليتوقف بكاءه. فذكر جالينوس أنّه هدأ بكاء رضيع، بتنظيفه وغسل ثيابه، وتنظيف فراشه<sup>(3)</sup>. أيّ أنّ الطبيب اليوناني هدّئ الرضيع بإزالة الأسباب التي أدت إلى بكاءه.

كما أوصى جالينوس بضرورة مراقبة الرضيع لمعرفة ما قد يزعجه قبل أن ينفجر بالبكاء، فأورد بهذا الشأن: ” يجب على من يقوم بتربية الرضيع أن يكون قادراً على التخمين الدقيق لما هو معتدل ومريح، ويقدمه لهم قبل أن يؤدي الضيق المتزايد إلى الإضرار بأجسادهم وعقولهم .. ومن واجبنا، تخمين ما يحتاجون إليه، وتقديمه دائماً قبل أن يزداد ضيقهم“<sup>(4)</sup>. ونصح أفلاطون وجالينوس المُربية أن تقوم بحمله بين ذراعيها وتهديته بهزّه بلطف وأن تُغني له بصوت منخفض<sup>(5)</sup>. واشترك روفوس الأفسوسي مع جالينوس بطريقة تهدئة الرضيع، فأوصى المُربية أن تقوم بحضنه بحنان، والغناء في أذنه بلطف، وهزّه حتى ينام على اعتبار أنّ النوم يُذهب عنه خوفه ويُسكنه<sup>(6)</sup>.

أمّا سورانوس فأوصى بالابتعاد عن تخويف الرضيع أو الصراخ في أذنه، أو الكلام بصوت عالي في الغرفة التي يتواجد فيها؛ لأنّ ذلك سيؤدي إلى زيادة بكاءه بدلاً من تهدئته. ونصح المُربية بهزّ سرير الرضيع، بلطف، حتّى تزول مخاوفه ويهدأ. أمّا إذا لم يخفّ بكاء الرضيع، فكان بإمكانها حمله والمشى به، أو إخراجه إلى الطبيعة، وأخذه

<sup>1</sup> Soranus: Gynecology, II, 17, 40.

<sup>2</sup> Ibid.

<sup>3</sup> البلدي: تدبير الخبالي والأطفال والصبيان، ص 195.

<sup>4</sup> Galen: On preserving health, I, 8.

<sup>5</sup> Galen: On preserving health, I, 7.

كذلك: أفلاطون: القوانين، ص 321.

<sup>6</sup> Rufus, in Oribasius: Liber incertus, Collectiones medicae, XX, 26- 28.

بنزهة في عربية<sup>(1)</sup>. والحقيقة، أنّ ذكر سورانوس للعربية، يُعتبر دليلاً آخرًا على أنّ نصائحه كانت موجّهة إلى العائلات الثرية على اعتبار أنّ امتلاك العربات كان محصوراً بالعائلات الرومانيّة الميسورة.

#### تاسعاً: كيفية التعامل مع بزوغ أسنان الرضيع (التسنين):

تُعتبر مرحلة التسنين من المراحل المهمّة التي تشهدها حياة الرضيع، إذ تُشكّل نقطة فاصلة في تكوينه الجسدي<sup>(2)</sup>. ويشير بزوغ الأسنان إلى أنّ الرضيع غدا قادراً على مضغ بعض الأطعمة، وبالتالي يجب البدء بإدخال أغذية أخرى في طعامه إلى جانب الحليب<sup>(3)</sup>. وتبدو الأهمية الكبيرة لمرحلة التسنين في أنّ أبقراط، نفسه، كرّس أطروحته الطبيّة الموسومة بعنوان " التسنين (De la dentition) " بكاملها لدراسة هذه المرحلة من حياة الرضيع. كما جعل أبقراط من بزوغ الأسنان نقطة فاصلة تنتهي عندها مرحلة الرضاعة<sup>(4)</sup>.

تبدأ مرحلة التسنين عند الرضيع في الشهر السابع تقريباً<sup>(5)</sup>. وقدّم أبقراط تصوراً جميلاً لطريقة بزوغ الأسنان فأورد، أنّها إذا نبتت، فإنّ أصولها تنبت في أعماق اللثة، أولاً، ثم تنمو وتصعد إلى الأعلى، ويحتدّ رأسها وتنقب اللحم واللثة كما يفعل المئثقب<sup>(6)</sup>. وأجمعت المصادر الطبيّة على أنّ بزوغ الأسنان يرافقه ألم في اللثة والفكين والأذنين وأحياناً في الحلق، وحمّى وتشنجات وإسهال<sup>(7)</sup>. وأشار روفوس الأفسوسي، بشكل خاصّ، إلى أنّ تلك الآلام تكون أكثر شدّة إذا حصل بزوغ الأسنان في فصل الصيف، وأضاف أنّه قد يُصيب الطفل في هذه المرحلة قروح في الفمّ وقيء<sup>(8)</sup>.

<sup>1</sup> Soranus: Gynecology, II, 17, 40.

<sup>2</sup> Dasen. V: Roman Childhood Revisited, op, cit, p 109.

<sup>3</sup> Dasen. V: Iconographie Et Archéologie Des Rites De Passage De La Petite Enfance Dans Le Monde Romain, op, cit, p 241.

<sup>4</sup> Galen: On Hippocrates, Aphorisms, III, 24- 26.

<sup>5</sup> Celsus: Om Medicine, II, 1, 18- 20. ; Soranus: Gynecology, II, 22, 49.

<sup>6</sup> البلدي: تدبير الحُبالى والأطفال والصبيان، ص 275.

<sup>7</sup> Hippocrates: Dentition, VI- VII. ; Galen: On Hippocrates, Aphorisms, III, 25.; Celsus: Om Medicine, II, 19. ; Soranus: Gynecology, II, 22, 49.

<sup>8</sup> البلدي: تدبير الحُبالى والأطفال والصبيان، ص 227.

أمّا عن رعاية الرضيع مع مرحلة التسنين، فتضمّنت المصادر الأدبية معلومات مهمة بهذا الخصوص، فأوصى أبقراط أن يتمّ التقليل من فترات الرضاعة، وأن يُجرى للرضيع حمام يومي بالماء الدافئ؛ لأنّ الماء الدافئ يُساهم في استرخاء العضلات مما يخفّف من أوجاعه<sup>(1)</sup>. واشترك روفوس الأفسوسي مع أبقراط في أنّه يجب على المربية أن تزيد عدد مرات الاستحمام للرضيع خلال مرحلة التسنين، وأن يتمّ التقليل من فترات الرضاعة<sup>(2)</sup>. أمّا سورانوس، فأوصى المُرّضة، أنّه في حال رافق بزوغ الأسنان وجع شديد، أن لا تشرب شيئاً إلا الماء، وأنّ تباعد عن شرب أيّ شيء حارّ؛ لأنّ تلك الحرارة ستنتقل للرضيع عبر حليبها، وبالتالي ستزيد من أوجاعه<sup>(3)</sup>.

ومن الأهمية بمكان القول، أنّ المنطقة الأكثر تأثراً ببزوغ الأسنان، هي منطقة اللثة، وهذا يُوضّح سبب تركيز المصادر الطبيّة على هذه المنطقة، حيث أوصى أبقراط بأن يتمّ تدليك اللثة، بواسطة الأصابع، تدليكاً خفيفاً، وأنّ تُمسح، بلطف، بدهن البنفسج ودهن الورد ودهن السمسم ودهن اللوز وشحم الدجاج والبابونج المحلول في ماء فاتر؛ على اعتبار أنّ هذه المواد تساهم في تهدئة اللثة وتسهّل بزوغ الأسنان<sup>(4)</sup>. أمّا جالينوس فنصح بدهن لثة الرضيع بالزبدة وبالعسل على اعتبار أنّ هاتين المادتين لهما خواص مهدئة للثة<sup>(5)</sup>. واشترك العالم الروماني بليني الأكبر، والعالم الموسوعي ديوسكوريدس (Dioscorides) (حوالي 40 - 90م) مع جالينوس بالنصح باستخدام الزبدة والعسل لتهدئة اللثة<sup>(6)</sup>. أمّا سورانوس فعارض استخدام الزبدة؛ لأنّها، برأيه، تؤدي إلى تهيج اللثة بدلاً من تهدئتها، وقدّم جملة من النصائح بخصوص التعامل مع ألم اللثة. واللافت للانتباه، أنّ سورانوس أوصى بأن يتمّ التعامل مع اللثة بدءاً من الشهر الخامس، أي قبل بدء بزوغ الأسنان بشهرين تقريباً. وهذا يعكس مستوى طبّي عالي لديه، إذ أنّه لم ينتظر

1 المصدر نفسه.

2 البلدي: تدبير الحُبالي والأطفال والصبيان، ص 227، 278.

3 Soranus: Gynecology, II, 22, 49.

4 البلدي: تدبير الحُبالي والأطفال والصبيان، ص 275، 276.

5 Galen: On the powers of simple drugs, X, 2.

6 Pliny the Elder: Natural History, XXVIII, 78. ; Dioscorides: On the Medical Matter, X, 2.

بزوغ الأسنان للتعامل معه، بل أوجب اتخاذ احتياطات تُقلل قدر الإمكان من الألم الذي قد يصيب الرضيع، على مبدأ " درهمٌ وقاية خيرٌ من قنطار علاج".  
على أية حال، أوصى سورانوس بأن يتم فرك اللثة بالعسل، أو بقطعة من دهن الدجاج، وأن يتم وضع قطع صوف ناعمة ونظيفة، مرطبة بزيت الزيتون، على رقبة الرضيع ورأسه وفكيه لسحب آلام اللثة، وفضل سورانوس أن يُعطى للرضيع قطعة من ذلك الدهن ليمسكها بيديه حتى يعضها فيساهم بذلك بتطبيب لثته. مع الأخذ بعين الاعتبار، أن قطعة الدهن يجب أن يكون حجمها أكبر من أن يبتلعها الرضيع. كما أوصى بعدم إعطاء الرضيع أي شيء لاذع أو حار؛ لأنه يزيد من تهيجه مما يُسبب ألماً كبيراً للرضيع<sup>(1)</sup>.

والجدير بالذكر، أن المصادر الطبية أدركت الترابط بين ألم الأسنان وألم الأذنين، لذلك نصح سورانوس بوضع بضعة قطرات من زيت الزيتون الدافئ والحلو في أذني الرضيع لإزالة أي التهابات محتملة منهما<sup>(2)</sup>.

#### عاشراً: نماذج من أمراض الرضع، وطرق معالجتها.

يعاني الرضيع، كغيره من الفئات العمرية، من أمراض والتهابات شتى<sup>(3)</sup>، بعضها يسهل معالجته، وبعضها الآخر قد يؤدي إلى موته. وتُشير التقديرات العلميّة الحديثة إلى أن حوالي (8%) من المواليد الجدد لم يتجاوزوا الشهر الأول من حياتهم، وأن (30%) لم يتجاوزوا السنة الأولى<sup>(4)</sup>. وقد وعت المصادر الأدبية وجود تلك الأمراض، فأورد المؤلفون الطبيّون إشارات مهمّة إليها، والسبل الأفضل لمعالجتها. وستقتصر هذه الفقرة على دراسة أمراض الرضع الأكثر شيوعاً، أي التي تكررت الإشارة إليها في المصادر الطبيّة.

#### 1- تقرحات الفم (القلع):

<sup>1</sup> Soranus: Gynecology, II, 22, 49.

<sup>2</sup> Ibid.

<sup>3</sup> Carroll. M: op, cit, p 42.

<sup>4</sup> Cantarella. E: Nascere, vivere e morire a Pompei, Milano, 2011, p33. ; Saller. R.P; Patriarchy, property and death in the Roman family, Cambridge University Press, Cambridge , 1996, p 52.

يُعاني كثير من الرضع، نظراً لضعف جهازهم المناعي، من مرض القلاع الفموي، أو ما يعرف بالعامية(الحمو). وهو يظهر في الفم أو على اللسان على شكل تقرّحات كروية الشكل، بيضاء اللون تميل إلى الصفار، وقد تتسبب بآلام وحرقة للشخص، خاصة عند تناول الأطعمة. ويظهر الانتشار الواسع لهذه الحالة المرضية من خلال تكرار ذكرها في المصادر الطبية.

#### أ- وصف القلاع:

ذَكَرَ أبقراط القلاع ضمن الأمراض التي تُصيب الرضع في فترة نبات الأسنان<sup>(1)</sup>. كما أشار جالينوس إلى أنه من الشائع أن يُصاب الرضع بتقرحات في الفم وأرجع سببها إلى تلوث الثدي الذي يرضعون منه<sup>(2)</sup>، ووصف جالينوس القلاع بأنه: ” تقرّح يمكن أن يكون أبيض أو أحمر أو أسود. ويكون التقرح مُغطى بحشوات من الأنسجة الميتة“<sup>(3)</sup>.

أمّا سورانوس فعرف القلاع بأنه ” قرحة سطحية تحدث في تجويف الفم“، ويُمكن أن يكون لها قشرة صغيرة<sup>(4)</sup>. كما ذكر روفوس الأفسوسي القلاع، فوصفه بأنه قروح تُصيب فم الرضيع، لون بعضها أبيض وبعضها أحمر وبعضها أسود كأنها آثار كي. وحذر روفوس من أنّ القروح السوداء خطيرة، إذ أنّها قد تُسبب موت الرضيع؛ لأنها تؤدي إلى صعوبة في تنفس الرضيع، وتصل آثارها إلى رئتيه، مما يؤدي إلى موته، وأطلق على التقرحات السوداء تسمية" القرحة المصرية" ؛ لأنها كانت تنتشر في مصر بشكل خاص<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> Hippocrates: Aphorisms, III, 24.

كذلك: الفيتوري، دلال مفتاح علي: تاريخ طب الأطفال عند الشعوب القديمة، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية- المرح، جامعة بنغازي، العدد(26)- 2/ شباط، 2017م، ص 5.

<sup>2</sup> Galen : On the compounding of drugs according to places, VI, 6, 9.

<sup>3</sup> Galen, in Oribasius: Liber incertus, Collectiones medicae, XXV, 1.

<sup>4</sup> Soranus: Gynecology, II, 24.

<sup>5</sup> البلدي: تدبير الخبالي والأطفال والصبيان، ص 227، 273، 274.

كيلسوس، أيضاً، ذَكَر القُلاع، وأشار أنه عبارة عن تقرحات تبدأ في لثة الرضيع أو لسانه. ونوّه إلى أنه في حال عدم السرعة في علاجها، فإنها قد تنتشر في كامل الفم والحلق، مما قد يُهدّد حياة الرضيع . وأرجع كيلسوس القُلاع إلى تلوّث ثدي المُرضعة<sup>(1)</sup>.

#### ب- علاج القُلاع:

تناقضت المصادر الطبيّة في تقديرها لخطر القلاع على الرضع، فرأى جالينوس أنّ علاجه بسيط في حال كانت القرحة بسيطة، ولكن يجب علاجه بأدوية قابضة(حارقة)، وإلا تطوّرت القرحة وأزمنت وتعمّنت وصعّب علاجها<sup>(2)</sup>. وترك جالينوس وصفة طبيّة لعلاج القلاع عند الرضع، فأورد: ” يجب على المُربيّة أن تُحضر عدساً وخبزاً يسيراً، فتمضغهما مضغاً جيداً ثمّ تُلقِيهما في فمّ الطفل، أو تأخذ من مخاخ الأبل ومخّ عجل فتخلطها ويُطلى بها فم الطفل. ويجب عليها أن تجعل غذاءه التفاح والسفرجل وما يشبهها من الفاكهة القابضة كالكمثرى والزعرور مع خبز وقليل من الخس؛ لأنّ الخس يُسكّن حرارة القروح“. كما أوصى جالينوس بدهن فمّ الرضيع بالحصرم أو السماق أو الورد أو العسل؛ لأنّ هذه المُكوّنات لها آثار قابضة تُزيل القلاع<sup>(3)</sup>.

وأيد سورانوس، جالينوس في القول أنّه في حال كان القلاع تقرحات بسيطة، فإنّ علاجه بسيط، ووصف العسل كعلاج فعّال لتلك التقرّحات. أمّا في حال كانت تقرحات القلاع عميقة، فتوجّب استخدام خلطة طبيّة خاصّة بها. وقد ترك سورانوس مكونات لتلك الخلطة، فأورد: ” يجب استخدام كمادات لها تأثير قابض، مثل تلك المُحصّرة من العدس وقشر الرمان. بالإضافة إلى ذلك، يجب على المرء أن يُوضع على القرحة زهر الورد الرقيق. كما يجب استخدام أدوية خاصّة بالفمّ، مثل تلك المصنوعة من التوت الأسود ورؤوس الخشخاش والموز مع العسل، وأوراق الورد المقطعة، وزهر الورد والزعفران والقليل من المرّ والبلوط واللبان ولحاء شجرة اللبان مخلوطة بالعسل المُضاف إليه الماء وعصير الرمان الحلو“<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> Celsus: On Medicine, VI, 11, 3 -4.

<sup>2</sup> Galen: On the compounding of drugs according to places, VI, 6, 9.

<sup>3</sup> البلدي: تدبير الخبالي والأطفال والصبيان، ص 273.

<sup>4</sup> Soranus: Gynecology, II, 24.



والحقيقة، أنّ هذه المكونات التي أوردها جالينوس سورانوس صحيحة بمجملها تقريباً. فمن المعروف أنّ القلاع يحتاج إلى مركّب مُطَهَّر يقتل الفطريات التي تؤدي إلى نشوئه. وأثبتت الدراسات الطبية الحديثة أنّ للعسل وعصير الرمان والتوت الأسود تأثير ناجح في قتل تلك الفطريات وعلاج القلاع.

أمّا كيلسوس، فلم يتفق مع جالينوس وسورانوس في أنّ علاج تقرحات الفمّ عند الرضع سهل ويسير، بل رأى أنّ علاجها ليس بالهين على اعتبار أنّ الرضع أقلّ استجابة للعلاج من غيرهم من الفئات العمرية، ونصح بالوقاية من القلاع عن طريق قيام المرضعة بغسل ثديها بالماء الساخن بهدف قتل الجراثيم التي قد تؤدي إلى تقرح فمّ الرضيع. كما قدّم كيلسوس وصفة طبية لعلاج القلاع عند الرضع، فأورد: ” يجب أن تُدهن القروح بالعسل، ويُضاف إليه السماق الذي يُسمّونه باللوز السوري أو اللوز المرّ. أو تُدهن بخليط من أوراق الورد المُجفّفة، وبذور الصنوبر، والنعناع، والعسل، أو الدواء المصنوع من ثمر التوت، ويخلط معها الزعفران والمرّ والنبيد. ولكن لا ينبغي إعطاء شيء يُمكن أن يثير اللعاب“<sup>(1)</sup>.

ويلاحظ في تكوين الوصفة التي ذكرها كيلسوس، أنّها تتوافق في العديد من مكوناتها مع الوصفة التي ذكرها جالينوس سورانوس، فهي تحتوي على العسل والتوت، وأوراق الورد. ولكنّه أضاف مكونات جديدة مثل النعناع والزعفران والمرّ، والسماق.

الطبيب روفوس الأفسوسي، أدلى بدلوه أيضاً، فيما يخصّ مرض القلاع، فأورد وصفة علاجية، تتشابه في الكثير من مكوناتها مع ما ذكره جالينوس وسورانوس وكيلسوس، فقال: ” فأما الدواء لهذا المرض (يقصد القلاع)، فإنّي سأصف ما يستقيم من العلاج لمثل ذلك. عالجه بأصول السوسن المسحوق مع شيء من عسل، وأنفخ السوسن يابساً في فم الرضيع فإنه يُناسبه. وورق الورد اليابس وزهر الزعفران والمرّ والعفص والكندر فإنّ هذا كله نافع وموافق إنْ عُولج به. وجميع ما وصفت لك عُولج به القروح مع شيء من عسل. وينبغي أيضاً أن يُسقى الصبي بعد علاجه، بهذا الدواء، عسلاً ممزوجاً بماء فاتر وعصارة رمان حلو“<sup>(2)</sup>. أمّا بليني الأكبر فأورد أنّ وضع الزبدة على القلاع

<sup>1</sup> Celsus: On Medicine, VI, 11, 4- 5.

<sup>2</sup> البدي: تدبير الخبالي والأطفال والصبيان، ص 274.

عند الرضيع يُفيد بمعالجته<sup>(1)</sup>. وأيد ديوسكوريدس، بليني في وصفته هذه، إذ أوصى باستخدام الزبدة والزيتون لعلاج القلاع عند الرضع<sup>(2)</sup>.

ونبه الأطباء الرومان إلى ضرورة توخي الحذر عند وضع مركبات لها تأثير حارق (كاوي) على فم الرضيع على اعتبار أنّ بشرته لا تزال رقيقة وشديدة الحساسية، فأوصى جالينوس بأن يُنظف فم الرضيع بواسطة ريشة مغموسة بزيت الزيتون، ثم يُدهن بأحد المواد القابضة<sup>(3)</sup>. أمّا كيلسوس، فأورد بهذا الخصوص: " يجب استخدام عود صغير يُلفّ بالصوف ويُغمس في الدواء، ثم يُوضع على القلاع حتى لا يبتلع الرضيع المادة الكاوية عن طريق الخطأ"<sup>(4)</sup>.

## 2- التهاب الجلد (السماط):

من الحالات المرضية التي تورق القائمين على رعاية الرضيع التهاب جلده، أو ما يُعرف باسم "سماط الرضيع". هذا الالتهاب يحدث كون بشرة الرضيع حساسة بقوة تجاه أي عوامل، غير صحية، تلامسها أو تحتكّ بها<sup>(5)</sup>. وقد وعت المصادر الطبية هذه الحالة المرضية، فأوردت وصفاً لها وطرق الوقاية منها، وأنجعت الوسائل لإزالتها حال حدوثها. فأوردت تلك المصادر أنّ سماط الرضيع هو حُمرة، تشبه الحروق، تُصيب الجلد نتيجة رطوبة تلحق به، أو نتيجة شدّ ضمادات القماط بطريقة أكثر من الحدّ المطلوب<sup>(6)</sup>. وأنّ تلك الحروق تحدث، بشكل خاص، في فخذي الرضيع<sup>(7)</sup>.

والحقيقة، أنّ العلاج الأول لسماط الرضيع كان بإزالة الأسباب التي تؤدي إليه؛ لذلك توجب على مربيته التأكد من نظافة ضمادات القماط، فإذا كانت رطبة وجب تغييرها، كما يجب الحرص على مراقبتها باستمرار للتأكد من جفافها، وضرورة استخدام ضمادات صوفية ناعمة، وعدم شدّها بقوة حتى لا يحدث احتكاك ببشرة الرضيع<sup>(8)</sup>.

<sup>1</sup> Pliny the Elder: Natural History, XXVIII, 78.

<sup>2</sup> Dioscorides: On the Medical Matter, 1, 137. ; II, 81.

<sup>3</sup> Galen : On the compounding of drugs according to places, VI, 6, 9.

<sup>4</sup> Celsus: On Medicine, VI, 15, 3.

<sup>5</sup> Bagley. A. M: op, cit, p 271.

<sup>6</sup> Soranus: Gynecology, II, 9 , 14.

<sup>7</sup> البلدي: تدبير الخبالي والأطفال والصبيان، ص 319.

<sup>8</sup> Soranus: Gynecology, II, 9 , 14. ; Bagley. A. M: op, cit, p 271.

وأورد روفوس الأفسوسي أنّ العلاج الأمثل لتقرحات الجلد عند الرضيع يتمثل بوضع الآس والورد على الفخذين<sup>(1)</sup>. أما سورانوس فأكد على مفعول زيت الزيتون في معالجة تلك التقرحات؛ لذلك أوصى باستخدام مرهم من زيت الزيتون الصافي الذي يُضاف إليه القليل من الشمع؛ بهدف زيادة سماكته والتصاقه جيداً ببشرة الرضيع. كما أوصى بتجنّب استخدام الملح أو أي محلول كاوي لمعالجة الالتهابات الجلدية؛ لأنها تتسبب بتهيّج بشرة الرضيع وتفاقم المشكلة بدلاً من حلّها<sup>(2)</sup>. أما كيلسوس فأوصى باستخدام مرهم مصنوع من خلاصة الأبتوس وبياض البيض والحليب، ووضعه على جلد الرضيع حتّى يتمّ التأكد من زوال الالتهاب الجلدي نهائياً<sup>(3)</sup>.

كما توجّب على المرضعة أن تتبع نظاماً غذائياً صحياً، وأنّ تبتعد عن الأطعمة اللاذعة؛ لأنّ خصائص تلك الأطعمة تنتقل بحليبها إلى الرضيع مما يزيد من الالتهابات الجلدية<sup>(4)</sup>.

### 3- تشوهات الأطراف والعمود الفقري والصدر:

من الحالات المرضية الخطيرة التي تكررت الإشارة إليها في المصادر الأدبية، كانت تشوهات تلحق بأطراف الرضيع وفقراته وضلوعه. وقد شكّلت هذه الحالة المرضية هاجساً لأسرة الرضيع بدليل أنّ أفلاطون أورد صراحةً أنّ بعض النسوة لم يكنّ يسمحن لأطفالهنّ بالمشي قبل بلوغهم الثالثة من عمرهم، بل كنّ يحملن أطفالهنّ طوال أول ثلاث سنوات من حياتهم خوفاً من حصول تشوّه في أقدامهم<sup>(5)</sup>.

وقدّم الأطباء الرومان وصفاً لهذه الحالة، وزودوا مربّيات الرضيع بنصائح للوقاية منها، فذكر جالينوس في أطروحته الموسومة بعنوان "عن أسباب الأمراض" (On the causes of disease) أسباباً متعدّدة تقف وراء التشوّه في أطراف الرضيع وعموده الفقريّ، من تلك الأسباب الوزن الزائد للطفل، وضعف رجليه وليونتها وعدم قدرتها على حمله بالشكل الأمثل، أو السماح للرضيع بالوقوف في وقت مبكّر، أو تحريك الرضيع

<sup>1</sup> البديدي: تدبير الخبالي والأطفال والصبيان، ص 319.

<sup>2</sup> Soranus: Gynecology, II, 25, 52.

<sup>3</sup> Celsus: On Medicine, VI, 9, 13.

<sup>4</sup> Bagley. A. M: op, cit, p 271.

<sup>5</sup> أفلاطون: القوانين، ص 319، 320.

بغنف. كما وضع احتمال أن يكون التقوس في الساقين ناجم عن تشوه خلقي لدى الرضيع ولا علاقة للعوامل الخارجية به<sup>(1)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى، أن جالينوس لم يهمل دور مُحيط الرضيع في حصول التشوهات، فردّ بعضها إلى إهمال من القابلة أو المربية وعدم معرفتهنّ الأصول الصحيحة في رعاية الرضيع سواء خلال ولادته أو حمامه أو إرضاعه<sup>(2)</sup>. لذلك ربط جالينوس بين الإمساك الخاطئ للرضيع خلال رضاعته، وإطعامه فوق الحدّ المطلوب، وبين حصول تلك التشوهات، حيث أشار إلى أنّ عظام الرضيع الرخوة سوف تتشوه حال إمساك المرضعة له بطريقة خاطئة، كما نوّه إلى أنّ الرضاعة الزائدة سوف تؤديّ إلى زيادة وزن الرضيع وبالتالي ستؤثّر عليه حين يبدأ بمحاولة المشي<sup>(3)</sup>.

وركّز جالينوس على دور التقيط الخاطئ في حصول تلك التشوهات، فأورد بهذا الخصوص: ” في الصدر، غالباً ما تشوه الأضلاع بسبب اللفّ الخاطئ لها من قبل المربّيات.. إنّنا نلاحظ أنّ هذا الشيء يحدث طوال الوقت عند الفتيات الصغيرات. حيث تُهمل مُدبرتهنّ ربط جميع الأجزاء، خاصّة الكتفين والصدر، بصورة متساوية.. وعندما يكون هناك ضغط غير متساوٍ، فإما أن يُظهر الثدي بروزاً إلى الأمام، أو أن الأجزاء المقابلة له في العمود الفقري سوف تتحدّب“<sup>(4)</sup>.

والواقع، أنّ ما أورده جالينوس يدلّ على شيوع حالة تشوه فقرات الرضع في العصر الروماني، حيث أورد صراحةً أنّ هذه الحالة تواجهه دائماً. واشترك روفوس الأفسوسي مع جالينوس في هذه النقطة فرأى أنّ بعض المربّيات لا يمتلكن الخبرة الكافية في رعاية الرضيع وغسله، لذلك توجّب اختيار مربية ناضجة والابتعاد عن أولئك الصغيرات في السنّ وقليلات الخبرة<sup>(5)</sup>. أمّا سورانوس فذكر أنّ أحد أسباب تشوه الساقين عند الرضيع هو تحدّب الظهر أو انحناءه، وأكد على أنّه في هذه الحالة يكون التشوه في منطقة الفخذين بشكل رئيسي. كما اشترك مع جالينوس في ردّ بعض حالات التشوه إلى

<sup>1</sup> Galen: On the causes of disease, VII, 1.

<sup>2</sup> Ibid.

<sup>3</sup> Ibid.

<sup>4</sup> Ibid.

<sup>5</sup> Rufus, in Oribasius: Liber incertus, Collectiones medicae, XX, 7- 8.

عدم خبرة مُربية الرضيع، وتعاملها الخاطئ مع جسده. وتقرّد سورانوس، عن غيره من الأطباء، في تقديم نصائح مهمّة بخصوص الطريقة المثلى لتجنّب حدوث التشوّهات في مفاصل الرضيع وعموده الفقريّ، وتركّزت نصائحه على المرحلة التي يبدأ فيها الرضيع محاولاته للوقوف والجلوس، فأورد: ” عندما يحاول الرضيع الجلوس والوقوف، يجب على المرء أن يساعده في تحركاته؛ لأنه إذا جلس لفترات طويلة قبل أوانه، فإنه عادةً ما يُصاب بتحدّب. كما قد تتشوّه الساقان في منطقة الفخذين. إذا لم يكن هناك من يعتني بحركات الرضيع، فإن غالبيّة أطرافه ستتشوّه؛ لأنّ وزن الجسم، كلّه، ستركّز على الساقين، في الوقت التي تكون فيه العظام هشّة، والأرض التي يقف عليها الرضيع صلبة ومرصوفة بالحجارة<sup>(1)</sup>. لذلك عندما يبدأ الطفل في الجلوس يجب وضع أشياء قادرة على تثبيته على جوانبه، ولكن ليس لفترة طويلة. وعندما يبدأ الطفل بالوقوف يجب على المرء وضعه بجوار الحائط وتركه هناك، ثم بعد ذلك بجانب كرسي على عجلات. بهذه الطريقة، يتقدّم شيئاً فشيئاً، وسيتمرن على التحرك والمشى“<sup>(2)</sup>. كما أوصى سورانوس، بعدم وضع الرضيع على أي شيء شديد الطراوة واللين؛ لأنّ ذلك قد يُسبّب تشوّه عموده الفقري أو رقبته<sup>(3)</sup>.

والواقع، أنّه من خلال هذا العرض لوصف تشوّهات الأطراف والمفاصل عند الرضع، يُلاحظ أنّ توصيات الأطباء كانت بمُجملها وقائيّة، إذ لم يُقدّموا علاجاً لهذه الحالة المرضيّة. وهذا شيء يبدو طبيعياً، إذ أنّه من الصعب جدّاً، إن لم يكن من المستحيل معالجة هذه التشوّهات في تلك الفترة في ضوء عدم توقّر الآلات الطبيّة، المعروفة اليوم، والخاصّة بتقويم الانحناءات والتشوّهات في مفاصل وفقرات الرضيع. والجدير بالذكر هنا، أنّ بعض تشوّهات المفاصل عند الرضع الرومان كانت تحصل بسبب نقص فيتامين(D)<sup>(4)</sup>. ويبدو أنّ جالينوس تنبّه إلى هذه الحقيقة من دون أن

<sup>1</sup> Soranus: Gynecology, II, 20 , 43- 45.

<sup>2</sup> Soranus: Gynecology, II, 10 , 16.

<sup>3</sup> Ibid.

<sup>4</sup> Carroll. M: op, cit, p68.

يورد تشخيصاً لها، بدليل أنه أورد فقرة أشار فيها إلى النساء اللواتي يبقين في المنزل ولا يُعرّضن أنفسهنّ إلى أشعة الشمس المباشرة<sup>(1)</sup> والحقيقة، أنّ جالينوس كان يقصد في هذه الفقرة النساء الرومانيات من الطبقة الراقية اللواتي يُقمن في بيوتهنّ وفيللهنّ الفخمة، ولا يتعرّضن لأشعة الشمس، مما جعل قسم كبير منهنّ يُعاني من نقص فيتامين(D) الذي أدى، بدوره، إلى إصابة عدد من الرضع بمرض الكساح الذي رافقه تشوهات العمود الفقري والصدر. وهنا لا يجب إغفال نصيحة سورانوس الطبيّة، الخاطئة، بضرورة عدم السماح للطفل بالرضاعة من الحليب(اللبأ) الذي يُفرزه ثدي الأم خلال الفترة التي تلي الولادة<sup>(2)</sup>، وبالتالي فإنّه كان يحرم الرضيع من العناصر الغذائية، ولاسيما الكالسيوم، الذي يحتويها هذا اللبأ. فأصرّ سورانوس، عن غير قصد، من خلال نصيحته هذه، بصحّة الرضع<sup>(3)</sup>، إذ أثبتت الدراسات الطبيّة الحديثة أنّ اللبأ يحتوي كمية من عنصر الكالسيوم تفوق، بمرتين أو ثلاث مرات، الكمية التي يحتويها الحليب الذي يُفرزه ثدي الأمّ المُرضعة خلال الأشهر اللاحقة من فترة الرضاعة<sup>(4)</sup>.

#### حادئ عَشْر: فِطامُ الرضيع:

يُشكّل الفطام المرحلة الأخيرة من هذه الدراسة، إذ يفقد الطفل عند فطامه مصطلح "الرضيع"، ويغدو طفلاً منفصلاً غذائياً عن أمّه، ويعتمد، مثله مثل باقي الفئات العمرية، على الطعام العادي في حياته.

<sup>1</sup> Galen: On Hygiene, XI, 164.

<sup>2</sup> Soranus: Gynecology, II, 11, 18.

راجع، كذلك، الصفحة(33) من هذا البحث.

<sup>3</sup> Lewis.M. E: Life and death in a civitas capital: metabolic disease and trauma in children from Late Roman Dorchester, Dorset. American Journal of Physical Anthropology, Volume(142), Issue(3), 2010, p 9.

<sup>4</sup> Kalwarf, H.J. and Specker. B. L: Calcium and magnesium in human lactation. In R.C. Tsang; ed: Calcium and Magnesium Metabolism in Early Life, CRC Press, Boca Raton, Florida, 1995, p 91.

وبالرغم من أن هذه الخطوة (الطعام) تبدو خطوة سهلة ولا تحمل عناءً لأسرة الرضيع، إلا أنها في الواقع تحتاج إلى دراية وإدراك للخطوات التي يجب القيام بها قبل حرمان الطفل من الرضاعة بشكل نهائي.

وقد تنبّهت المصادر الطبية الرومانية إلى أهمية هذه الخطوة، وأهمية التدرّج فيها، والوقت الأنسب لقطاع الطفل، وأصناف الطعام الواجب إدخالها في غذاء الرضيع ليصل إلى مرحلة الطعام النهائي<sup>(1)</sup>.

والحقيقة، أنه يوجد تضارب في المصادر الطبيّة بخصوص الوقت الأنسب لمنح الطفل استقلالية في غذاءه، حيث، وكما أُشير في بداية هذا البحث، أوصى جالينوس بأن يستمر إرضاع الطفل حتى يبلغ الثالثة، أو على الأقل الثانية من عمره<sup>(2)</sup>. أمّا روفوس الأفسوسي فأوصى بأن يستمر إرضاع الطفل حتى يبلغ عامين أو عامين ونصف<sup>(3)</sup>.

سورانوس، بدوره، كان أكثر تساهلاً، إذ لم يرى من عائق أمام فطام الرضيع متى أصبح قادراً على مضغ الطعام بطريقة جيّدة<sup>(4)</sup>. ويُمكن الاستنتاج، من كلام سورانوس، أنه يجب إرضاع الطفل حتى نهاية السنة الأولى من حياته، على الأقل، إذ أن الرضيع لن يكون قادراً على مضغ الطعام بسهولة إلا بعد بزوغ أسنانه واشتدادها، وهو ما يبدأ في الشهر السابع، تقريباً، ويستمر طوال العام الأول من حياته.

ورأى الأطباء الرومان أن أفضل موسم للفطام يكون في فصل الربيع، على اعتبار أن فصل الربيع مناخه معتدل مما يجعل منه الوقت الأنسب صحياً. كما حذروا من الفطام وقت الخريف على اعتبار أن هذا الفصل مناخه متقلّب مما يجعل جسم الرضيع عرضةً للعديد من الأمراض التي تجعل فطامه صعباً<sup>(5)</sup>.

ومن الأهمية بمكان القول، أن الطب الحديث يُوصي، إلى اليوم، بفطام الطفل في فصل الربيع أي عندما يعتدل المناخ ويتوافر للطفل أجواء دافئة تُصبح فيها الأم قادرة

<sup>1</sup> جرى معالجة الأغذية الواجب إدخالها في طعام الرضيع في الفقرة الخاصّة بالأغذية المُتداخلة مع الرضاعة. راجع الصفحات (36، 37) من هذا البحث.

<sup>2</sup> Galen: On preserving health, I, 9.

<sup>3</sup> Rufus, in Oribasius; Liber incertus, Collectiones medicae, XIV. ; XX, 23. ; VII, 12.

<sup>4</sup> Soranus: Gynecology, II, 21, 46.

<sup>5</sup> Soranus: Gynecology, II, 21, 48.

على إخراج الرضيع من المنزل إلى الهواء الطلق مما يساعدها على فصله عن الثدي شيئاً فشيئاً. وهذا بالمحصلة، يدلّ على تطور كبير أحرزه الطبّ الروماني في مجال الملاحظة والتجربة.

ولم تقبل المصادر الطبيّة بقطاع الطفل فجأة أو بطريقة عشوائية؛ لذلك أوردت توصيات بخصوص الطريقة التي يجب فيها على فطامه. فرأى أبقراط أنّه كلما تمّ تعويد الطفل على الغذاء العادي، كلما كان فطامه أسهل<sup>(1)</sup>. أمّا سورانوس، فرأى أنّه يجب تعويد الطفل على الطعام العادي بشكل تدريجيّ، وعدم إطعامه أي شيء حتّى تنمو أسنانه، كما حدّر من لجوء بعض النساء، اللواتي يعتبرن الرضاعة عبئاً، إلى إدخال الطعام العادي في غذاء الرضيع بعد مرور (40) يوماً على ولادته. كما أوصى أنّه عندما يصبح الطفل قادراً على تناول الحبوب بسهولة، وعندما تغدو أسنانه قوية وقادرة على تقطيع الطعام، فإنّه يجب على المُرْضعة أن تقوم، تدريجياً، بالتقليل من زمن الرضاعة وتقليل الحليب المُعطى له<sup>(2)</sup>. كما أوصى بعدم الفطام فجأة لأنّ ذلك يحمل تأثيرات ضارة على صحّة الرضيع بشكل عامّ، وعلى معدته بشكل خاصّ. أمّا إذا كان الرضيع، بطبيعته، شهماً، فأوصى سورانوس بوجوده عن انتباهه عن الطعام، وتشتيت ذهنه عن طريق وسائل الترفيه والألعاب، وأن يتم تقسيم وجباته إلى فترات مختلفة. أمّا إذا لم يكن للرضيع شهية لتناول الطعام، فتوجبّ تنويع أصناف الطعام المقدّمة له بهدف تحفيز شهيته. وفي حال أصيب الرضيع بمرض أثناء فطامه، فيجب معاودة إرضاعه وعدم فطامه حتّى يتمّ التأكد أنّه شُفي من مرضه تماماً<sup>(3)</sup>.

والواقع أنّ، أنّ هذه التوصيات التي أوردها سورانوس صحيحة بمعظمها، إذ لا يزال الأطباء حتى اليوم يُوصون بقطاع الرضيع بالتدريج، وبتعويده على الطعام العادي شيئاً فشيئاً حتّى ينسى الرضاعة بشكل كامل<sup>(4)</sup>.

على أيّة حال، عندما يتمّ التأكد أنّ الطفل اشتدّ عوده، وغدا يتقبّل فكرة الفطام، عندئذ يتمّ فطامه فطاماً كاملاً، ويغدو معتمداً على الغذاء العادي كباقي الفئات العمرية.

<sup>1</sup> Hippocrates: Dentition, XVI.

<sup>2</sup> Soranus: Gynecology, II, 21, 46- 48.

<sup>3</sup> Soranus: Gynecology, II, 21, 46- 48.

<sup>4</sup> محمد السيّد، عبد الباسط: تغذية الطفل، ص 38.



لتنتهي بذلك مرحلة من أهم وأخطر المراحل على حياة الطفل في العصر الروماني وفي جميع العصور.

#### - خاتمة:

تناول هذا البحث، بالدراسة، أحد الجوانب الاجتماعية والتربوية المهمة في العصر الروماني، وهو رعاية الأطفال الرضع. ومن خلال الدراسة الأكاديمية لمختلف جوانب هذه الرعاية ابتداءً من مرحلة الولادة وانتهاءً بمرحلة الفطام، فإن هذا البحث المتواضع، قد خلص إلى جملة من النتائج أهمها:

1- إن أغلب العادات الشائعة اليوم، في رعاية الأطفال الرضع، هي عادات قديمة أوصى بها أبقرات وجالينوس وروفوس الأفسوسي وسورانوس وغيرهم من كبار الأطباء، مما يجعل من أقوالهم وإرشاداتهم النظام الذي تسير عليه أغلب المجتمعات في التعامل مع أبناءها. هذا النظام الذي يشمل تلميح الرضيع، وتطهيره بزيت الزيتون، وقماطه، وموعد فطامه، وغير ذلك من الجوانب التي تثبت فضل الأطباء اليونان على الطب الحديث وعلى الإنسانية جمعاء.

2- يبدو بوضوح من خلال دراسة المصادر التي عالجت رعاية الأطفال الرضع، أنه لم يكن يوجد في العصر الروماني الاختصاص المعروف اليوم باسم "طب الأطفال"، بل كانت المعلومات عن رعاية الرضع متوزعة في مختلف المصادر. ولكن هذا لا ينفي

حقيقة أنّ الرومان كان لديهم وعي بأهمية رعاية الطفل الرضيع والعناية به حتى يشتدّ عوده، ويخرج، سالمًا، من هذه المرحلة الحساسة من حياته.

3- كان لزيت الزيتون والملح أهمية كبيرة في رعاية الرضع في العصر الروماني، فنكّر استخدامهما في حمّام الرضيع، وفي تشكيل ملامحه، وفي قماطه، وفي معالجة الأمراض التي ألمّت به. كما أوصى جميع الأطباء الرومان بإدخال هذين العنصرين في المراحل المختلفة من رعاية الرضيع.

4- شكّلت توصيات الأطباء وإرشاداتهم، المنهج والنظام الذي سارت عليه العائلات الرومانية الثرية في رعاية أطفالها. تلك التوصيات التي تعكس تطوراً كبيراً في الطبّ الروماني.

5- كان لدى الرومان إدراك ووعي بمراحل حمل المرأة، وطرق العناية بها وبجنينها خلال فترة الحمل. كما شكّلت لحظة الولادة مرحلة حسّاسة فرضت وجود طقوس خاصة وقابلة خبيرة في التعامل مع شتى أنواع الولادات السهلة منها والمُتعبّرة.

6- لم ينظر الرومان، شأنهم في ذلك شأن جميع الشعوب القديمة، بعين المساواة إلى الرضيع الذكر والرضيع الأنثى، إذ عانت الأنثى من ظلم واضح تجلّى في نظرة المصادر الأدبية لها على أنّها أدنى مرتبة من الذكر.

7- أدرك الرومان رِقّة جسد الرضيع وحساسيته تجاه العوامل الخارجية؛ لذلك أوكلوا مهمّة رعايته في يومه الأول إلى قابلة مختصة. تلك القابلة قامت بمهام متعدّدة، في إطار رعاية الرضيع، مثل تطهيره بمواد التطهير، كالمح وزيت الزيتون. كما أوكل لتلك القابلة مهمّة حمّام الرضيع في يومه الأول، ورسم ملامحه بطريقة مثالية.

8- كان لدى القابلة الرومانية مهارة كبيرة في التعامل مع الحبل السري، وهذه المهارة تجلّت بوضوح فيما أورده الطبيب اليوناني سورانوس، الذي قدّم زبدة معارف عصره في هذا الخصوص.

9- لم ينظر الرومان إلى جميع المواليد الجدد على أنّهم أطفال صالحون للتربية، بل وُضعت شروط توجّب أن تنطبق على المولود حتى يعترف والده ببنوته. تلك الشروط كان أغلبها يتمحور حول صحّته الجسدية وقدرته على القيام بدوره المستقبلي بصفته عضو في المجتمع الروماني.

10- أدرك الرومان أهمية القماط في حفظ صحّة الرضيع الجسدية والنفسية؛ لذلك حاول، معظمهم، تقييط الرضيع بحسب خبرته في هذا الشأن. ولكن وبالرغم من توصيات الأطباء بخصوص طريقة التقييط السليم، إلا أنّ الواقع يقول أنّ جزء كبير من الرومان فشلوا في لفّ القماط بالشكل الأمثل، مما ترك تأثيرات سلبية خطيرة على جسد الرضيع بشكل عامّ، وعلى مفاصله بشكل خاصّ.

11- امتنع معظم نساء العائلات الثرية عن إرضاع أطفالهنّ، وتركّن هذه المهمة إلى ممرضات مُختصات. في حين أنّ نساء الطبقات المتوسطة والفقيرة لم يكن أمامهنّ خيار إلا إرضاع أطفالهنّ بأنفسهنّ، أو الاعتماد على الرضاعة الاصطناعية.

12- أدركت الطبقة الرومانية المتعلّمة أهمية الرضاعة الطبيعية، وأهميّة أن تقوم الأم بإرضاع طفلها بنفسها، لما لذلك من نتائج إيجابية على صحّة الرضيع الجسدية والنفسية.

13- لم يكن الغذاء الذي تناوله الرضع، بعد بزوغ أسنانهم، موحّداً في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية. بل اختلفت نوعية ذلك الغذاء بحسب المنطقة الجغرافية التي كانت تعيش فيها أسرة الرضيع.

14- لم تتفق المصادر الطبية على فترة مُحدّدة لفظام الرضيع، إذ تراوحت تلك الفترة بين العامين والثلاثة أعوام. ولكنّ، وبشكل عامّ، يُمكن القول، أنّ الرومان كانت لديهم معارف جيّدة بخصوص الفظام. تلك المعارف يُمكن الاستدلال عليها من كمّ التوصيات التي تركها أطباء تلك الفترة، والتي تتطابق، في معظمها، مع المعارف الطبيّة الحديثة.

### قائمة المصادر والمراجع:

#### - المصادر العربية، والمُعَرَّبَة:

- 1- أرسطوطاليس: السياسة، ترجمه من الإغريقية إلى الفرنسية: بارتلمي سانتھلير، نقله إلى العربية: أحمد لطفي السيّد، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1947م.
- 2- أفلاطون: القوانين، ترجمة: محمد حسن ظاظا، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986م.
- 3- أوريليوس، ماركوس: التأمّلات، ترجمة: عادل مصطفى، مراجعة وتصدير: أحمد عثمان، مؤسسة هنداوي سي آي سي، وندسور، المملكة المتحدة، 2019م.
- 4- البلدي، أحمد بن محمد بن يحيى: تدبير الحُبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحّتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم، تحقيق: محمود الحاج قاسم محمد، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980م.
- 5- بلوتارك: تاريخ أباطرة وفلاسفة الاغريق، ترجمة: جرجيس فتح الله، المجلد الثاني، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2010م.
- 6- ابن سعيد، عريب: خلق الجنين وتدبير الحُبالى، ترجمه عن اللغة الفرنسية: نور الدين عبد القادر وهنري جاهيه، منشورات كلية الطب والصيدلة بالجزائر، مكتبة فراريس، الجزائر، 1956م.

#### - المصادر الأجنبية:

- 1- Aristotle: The Works of Aristotle, Translated by: Thompson. W, Oxford, 1910.
- 2- Aulus Gellius: The Attic Nights of Aulus Gellius, Translated by: Rolfe. J. C. , Loeb Classical Library, Harvard University Press, Massachusetts& Cambridge, 1960.
- 3- Celsus: On Medicine, Translated by: Spencer. W. G, Loeb Classical Library, London& Cambridge, 2002.
- 4- Dioscorides: On the Medical Matter, Translated by: Osbaldeston.T.A, IBIDIS Press, Johannesburg, 2002.
- 5- Galen: Galen" Selected Works". Translated by: Singer. P.N, Oxford University Press, Oxford, 1997.

- 6- Galen: On preserving health, Translated by: Green. R.M, Springfield, 1951.
- 7- Galen: On seed, Translation and commentary by: De Lacy. P, Akademie Verlag, Berlin 1993.
- 8- Galen; On the compounding of drugs according to places, Translated by: Singer. P.N, Oxford University Press, Oxford, 1994.
- 9- Galen: On the therapeutic method, Translated and edited by: Johnston. I and Horsley. G. H. R, Loeb Classical Library, Harvard University Press, Cambridge & London, 2011.
- 10- Hippocrates: Complete Works of Hippocrates, Translated by: Adams. C. D, Delphi Classics, Delphi Publishing Ltd, Hastings, East Sussex, 2015.
- 11- Juvenal: The Satires of Juvenal, Translated by: Gifford. W. The Temple Greek and Latin Classics series, G.P. Putnam's Sons, J.M. Dent Co New, York & London, 1906.
- 12- Oribasius: Liber incertus, Collectiones medicae, Edited by Raeder. J, Leipzig, Berlin, 1993.
- 13- Plato: Plato in Twelve Volumes, translated by: Bury. R. G, Cambridge, MA, Harvard University Press; London, 1967 & 1968.
- 14- Pliny The Elder: The Natural History Of Pliny, Translated By: Bostock. J and Riley. H. T, G. Bell, New York, 1890.
- 15- Pliny the Younger: Letters, Translated by: Radice. B, Harvard University Press, Cambridge, 1969.
- 16- Plutarch: Moralia, Translated by: Babbitt. F, Harvard University Press, Cambridge, 2005.
- 17- Seneca: Letters, Translated by; John M. Cooper. J. N and J. F. Procopé, Cambridge University Press, Cambridge, 1995.
- 18- Soranus of Ephesus: Gynecology, Translated by: Temkin. O, John Hopkins Press, Baltimore, 1956.
- 19- Suetonius: Lives of the Caesars, Translated by: Edwards. C., Oxford University Press, Oxford, 2000.
- 20 - Tacitus: Germania, Translated by: Church. A. J. and Brodribb. W. J, Random House, New York, 1942.

- المراجع العربية:

- 1- أنديشة، أحمد محمد و القماطي، حميدة: الأسرة الرومانية زمن الإمبراطور أوغسطس 27ق.م - 14م، العدد الثاني، مجلة كلية الآداب، جامعة مصراته، 2014م.

- 2- جاسم السامرائي، بهاء أحمد: الأثر الطبي للمرأة الحامل عند أطباء الأندلس في القرن الرابع الهجري -عريب بن سعيد القرطبي، وكتابه خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين- أنموذجاً، Route Educational & Social Science Journal ، المجلد 6(3)، شباط، 2019م.
- 3- فارس، دعاس: مكانة الأطفال في مجتمع بلاد المغرب القديم(من بداية العصور التاريخية إلى نهاية الاحتلال الروماني لبلاد المغرب)، أطروحة دكتوراه، بإشراف: محمد رشدي جرايه، جامعة الشهيد حمّه لخضر الوادي، الجزائر، 2020 / 2021م.
- 4- الفيتوري، دلال مفتاح علي: تاريخ طبّ الأطفال عند الشعوب القديمة، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية- المرج، جامعة بنغازي، العدد(26)- 2 / شباط، 2017م.
- 5- كعدان، عبد الناصر و السيّد علي، محمد نور: مراحل تخلّق الجنين ونظريات الحمل في الحضارة العربية الإسلامية، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، بدون تاريخ.
- 6- كلاس، جوزيف: مسيرة الطبّ في الحضارات القديمة، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1995م.
- 7- محمد السيّد، عبد الباسط: تغذية الطفل " أساسيات التغذية في المراحل العُمريّة، شركة ماس للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010م.
- 8- المعلوف، عيسى إسكندر: تاريخ الطبّ عند الأمم القديمة و الحديثة، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة، 2014م.

#### - المراجع الأجنبية:

- 1- Andreoli . A, e altri: Mater. Percorsi Simbolici Sulla Maternità, Roma, 2015.
- 2- Ammaniti. M, e altri: Maternità e gravidanza: studio delle rappresentazioni materne, Milano, 1995.
- 3- Bagley. A. M: Roman Children In The Early Empire: A Distinct Epidemiological And Therapeutic Category?, A Thesis Submitted

To The University Of Birmingham For The Degree Of Doctor Of Philosophy, University Of Birmingham, 2016.

4- Baker.P: The Archaeology of Medicine in the Greco-Roman World, Cambridge: Cambridge University Press, 2013.

5- Carroll. M: Infancy and Earliest Childhood in the Roman World, Oxford University Press, Oxford, 2018.

6- Cantarella. E: Nascere, vivere e morire a Pompei, Milano, 2011.

7- Dasen. V: Childbirth And Infancy In Greek And Roman Antiquity, In: A Companion To Families In The Greek And Roman Worlds, Edited by; Beryl Rawson, Blackwell Publishing Ltd, Oxford, 2011.

8- Dasen. V; Construire sa parenté par la nourriture à Rome, in ' Art de manger, art de vivre. Nourriture et société de l'Antiquité à nos jours", avec Marie-Claire Gérard-Zai (dir.), Gollion, Switzerland, infolio, 2012.

9- Dasen. V: Iconographie Et Archéologie Des Rites De Passage De La Petite Enfance Dans Le Monde Romain, Questions Méthodologiques, In; Life, Death, and Coming of Age in Antiquity: Individual Rites of Passage in the Ancient Near East and its Surroundings, edited by Mouton. A and Patrier. J, Nederlands Instituut Voor Het Nabije Oosten, Leiden, 2014.

10- Dasen. V: Roman birth rites of passage revisited, Journal of Roman Archaeology, Vol. 22, No. 1, 2009.

11- Dasen. V: Roman Childhood Revisited, In: Children In Antiquity Perspectives And Experiences Of Childhood In The Ancient Mediterranean, Edited by: Beaumont. L. A, Dillon. M, Harrington, Routledge, New York, 2021.

12- Dixon. S: The Roman Family, Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1992, p 101.

13- Dupras. T. L and others: " Birth in Ancient Egypt: Timing, Trauma, and Triumph? Evidence from the Dakhleh Oasis, Egyptian Bio archaeology, Humans, Animals, and the Environment", Leiden: Sidestone Press, 2015.

14- Evans. J. K: War, Women and Children in Ancient Rome, 2 nd edition, Routledge, London, 1991.

15- Foxhall. L: Studying Gender in Classical Antiquity, Cambridge University Press, Cambridge , 2013.

- 16- Filippini. N. M: *Generare, Partorire, Nascere: Una Storia Dall'antichità Alla Provetta*, Roma, 2017.
- 17- Gourevitch. D: *L' Anonyme de Londres et la médecine d'Italie du Sud*, *History and Philosophy of the Life Sciences*, Vol. 11, No. 2, 1989.
- 18- Gowland. R, and others: *On the Brink of Being: Re-evaluating Infanticide and Infant Burial in Roman Britain*, *Journal of Roman archaeology supplementary series*, 2014.
- 19- Hänninen, M. L: *From womb to family. Rituals and social conventions connected to Roman birth*; In Mustakallio. K, and others; *Hoping for Continuity Childhood, Education and Death in Antiquity and the Middle Ages*, *Institutum Finlandiae*, Rome, 2005.
- 20- Harlow. M And Laurence. R: *Growing Up And Growing Old In Ancient Rome " A Life Course Approach"* , *Routledge*, London and New York, 2002.
- 21- Hodges. F. M: *The ideal prepuce in ancient Greece and Rome: male genital aesthetics and their relation to lipodermos, circumcision, foreskin restoration, and the kynodesme*. *Bulletin of the History of Medicine*, Vol. 75, No. 3, 2001.
- 22- Kalwarf, H.J. and Specker. B. L: *Calcium and magnesium in human lactation*. In R.C. Tsang; ed: *Calcium and Magnesium Metabolism in Early Life*, *CRC Press*, Boca Raton, Florida, 1995.
- 23- Karamano. M, and others: *The effect of Soranus of Ephesus (98–138) on the work of midwives*, *Women and Birth*, Vol. 26, Issue 4, December, *Australian College of Midwives*, Elsevier Ltd, 2013.
- 24- Laes. C: *Children in the Roman Empire" Outsiders Within"*, *Cambridge University Press*, Cambridge, 2011.
- 25- Laes. C: *Infants between biological and social birth in antiquity: a phenomenon of the Longue Durée*, *Historia*, No. 63(3), 2014.
- 26- Lewis. M. E: *Life and death in a civitas capital: metabolic disease and trauma in children from Late Roman Dorchester, Dorset*. *American Journal of Physical Anthropology*, Vol. 142, Issue(3), 2010.
- 27- Loraux. N: *Il femminile e l'uomo greco*, Roma, 1991.



- 28- Maher. V: "The anthropology of breastfeeding" Natural law or social construct" ? Oxford: Berg, 1992.
- 29- Martin. D. B: 'The Corinthian Body' New Haven' , Yale University Press, London, 1995.
- 30- Minozzi. S, and others; Palaeopathology in the Roman Imperial Age, Pathobiology, No. 79, 2012.
- 31- Néraudau, J.P: Être enfant à Rome, Paris, 1984.
- 32- Parker. H: Women and Medicine, In; A Companion to Women in the Ancient World, Edited by; Sharon L. James and Sheila Dillon, Blackwell Publishing Ltd, 2012.
- 33- Pedrucci. G: Maternità e allattamenti nel mondo greco e romano, Roma, 2018.
- 34- Rawson. B: Children and Childhood in Roman Italy, Oxford University Press, Oxford, 2003.
- 35- Rawson. B: Marriage, Divorce, and Children in Ancient Rome, Oxford University Press, Oxford, 1991.
- 36- Saller. R.P: Patriarchy, property and death in the Roman family, Cambridge University Press, Cambridge , 1996.
- 37- Salmaso. R: Ἀρετή e virtus al femminile. La gravidanza e il parto nell'arte greca-romana, Università Ca' Foscari, Venezia, 2020.
- 38- Sparreboom. A: Wet-nursing in the Roman Empire Indifference" efficiency and affection", Master's thesis supervised by: Dr. A. M. Derks, VU University, University of Amsterdam, August, 2009.



## المادة الإخبارية التاريخية في كتاب معجم البلدان

### في ما يخص مكة المكرمة

طالب دكتوراه : نزار داوود سلطان

(تاريخ العرب والإسلام)

قسم التاريخ - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة البعث

#### الملخص

يعد كتاب معجم البلدان لمؤلفه ياقوت الحموي أحد المؤلفات المعرفية والجغرافية والأطلسية التي تحتل مكان الصدارة في المكتبة العربية والإسلامية وحتى العالمية، لما قدمه من معلومات وصفية للأرض وبقاعها وأقاليمها وبلدانها، ولم تقدم تلك المادة المعرفية مفردة متخصصة بالجغرافية الوصفية، بل امتزجت بالمعارف الأدبية من ضبط للأسماء والبقاع، وبما حوته من أدب وأشعار، وكذلك قدمت لمادة تاريخية وإخبارية ودينية، ليحمل هذا الكتاب صفة الموسوعة بحق.

## ***The Historical Informative Account in the Glossary of Countries Regarding Makkah Al-Mukarramah***

### *Abstract*

*The Glossary of Countries* by Yaqoot al-Hamawi is one of the epistemological, geographic and Atlas books that occupy a leading place in the Arab, Islamic and even international libraries, because of the descriptive information it provides about the earth, its corners, regions and countries.

This source of knowledge does not provide an entry specialized in descriptive geography. Instead, it is mixed with literary knowledge such as rectification of names and places, and with what it includes in literature and poetry.

Moreover, it provides historical, informative and religious account, and then this book gains the status of an encyclopedia indeed.

المادة الإخبارية التاريخية في كتاب معجم البلدان في ما يخص مكة المكرمة  
أولاً . المقدمة:

ثانياً: ياقوت الحموي:

ثالثاً: كتاب معجم البلدان:

رابعاً: المادة الإخبارية التاريخية في ما يخص مكة المكرمة:

خامساً: الخاتمة .

المقدمة:

إن أي حدث تاريخي كوني سواء أكان من فعل الإنسان أو القوى الخارجة عن إرادته على سطح الأرض مرتبط بإحداثيات الزمان / التاريخ / والمكان / الجغرافية /، فلا يخفى على أحد دور الظواهر الجغرافية، كالسطح والمناخ والنبات وغيرها في الأحداث التاريخية وفي قيام الحضارات واندثارها، ويبدو الإطار الجغرافي هنا على غاية من الأهمية، ففي السهول الخصبة والوديان كوادي النيل ودجلة والفرات قامت أقدم الحضارات البشرية التي عرفها التاريخ كالحضارة الفرعونية والسومرية والآشورية والبابلية، حيث أتاحت الظروف الجغرافية للإنسان الاستقرار واستغلال الموارد، فقدمت الظروف المهيأة لتقدم الحضارات، وعلى النقيض نجد أن البيئة الصحراوية والجبلية شكلت بيئات غير مناسبة للتشكل الحضاري تدفع الإنسان للرحيل، كما ارتبط تاريخ العديد من الأقطار بموقعها الجغرافي.

ومنذ فجر التاريخ ربط الإنسان ما للبيئة من دور هام في تشكيل الحدث التاريخي، ومن يدرس الظاهرة التاريخية لا بد وأن يركز على أركانها، وبما أن البيئة هي مسرح العملية التاريخية فلا شك أنها تؤثر وتتأثر بالحدث التاريخي المستمر، إذاً فالجغرافية تمثل المسرح الذي يلعب الإنسان عليه أحداثه التاريخية.

وقد أدرك العلماء القدامى ومن بينهم العلماء العرب والمسلمين هذا الارتباط الوثيق بين التاريخ والجغرافية، فسخروا العلوم الجغرافية في كتابة التاريخ، فللظواهر الجغرافية المختلفة أثر كبير، وقد بات من المتبع في الكثير من الدراسات التاريخية وحتى القديمة منها أن تمهد ليس بمقدمة تاريخية فحسب، ولكن بمقدمة جغرافية، تعرف القارئ جغرافية البلد موضوع البحث، فالجغرافية تسلط الأضواء وتفسر الكثير من المفاهيم التاريخية.

ومن الذين ربطوا التاريخ بالجغرافية العالم الموسوعي الفكر والثقافة والتأليف والجغرافي بالتخصص ياقوت الحموي (574-626هـ/1178-1229م) صاحب الموسوعة الجغرافية العملاقة (معجم البلدان) الذي قدم في موسوعته الجغرافية معلومات تعد من أغنى ما قدم في هذا المجال، حتى أضحت موسوعته هذه تحتل مكان الصدارة

بين المؤلفات الجغرافية المختصة في التعريف بالأماكن والبقاع، ولم تقتصر معلوماته على الجغرافية الوصفية للأماكن والبقاع بل تعدتها إلى ربط الجغرافية بالتاريخ، وتكاد لا تخلو هذه الموسوعة من تقديم سرد تاريخي وإخباري وتراجم للأعلام لكل موقع جغرافي يتم الحديث عنه ضمن موسوعته، بالإضافة إلى ما تضمنته من معلومات دينية وأدبية وشعرية وغيرها من المعارف المرتبطة كلياً بجوهر الحدث التاريخي الواقع في تلك الجغرافية.

. **إشكالية البحث:** يطرح البحث مجموعة من القضايا ذات الطابع السياسي والاجتماعي، والفكري؟ من هو مؤلف هذه الموسوعة؟ وكيف تلقى علومه؟ ما هي البقاع التي زارها؟ وهل لعبت المشاهدة فقط دوراً أساسياً في تقديم المادة العلمية؟ أم استقى واستفاد ونقل من سبقوه؟ وكيف قدم هذه المادة العلمية؟ وهل عندما يقدم المادة الإخبارية تكون موثقة أم يرويها دون تأكيد وترجيح للروايات؟ وما هي أهمية المادة العلمية المقدمة في ما يخص الأماكن المقدسة في الحجاز، وخصوصاً مكة المكرمة.

. **أهمية البحث:** البحث يشكل مادة علمية للمهتمين بدراسة الجغرافية التاريخية والتاريخ الجغرافي، ويقدم ترجمة لمؤلف هذه الموسوعة، عن نشأته وتكوينه ورحلاته ومؤلفاته، ويسلط الضوء على دراسة الأماكن المقدسة في الحجاز (مكة المكرمة) من خلال هذه الموسوعة، وما قدم خلالها من معلومات تاريخية وإخبارية.

. **أهداف البحث:** يهدف البحث إلى دراسة الفكر الموسوعي للعلماء العرب والمسلمين وإدراكهم للبعد المكون للحدث التاريخي سواء أكان جغرافي أو غيره، ودراسة الظروف المحيطة ودورها في نشأة وفكر ياقوت الحموي، وأهمية موسوعته، والمادة المقدمة في ما يخص الأماكن المقدسة / مكة المكرمة / على وجه التحديد.

. **منهج البحث:** اعتمد البحث على جمع المادة العلمية التاريخية من المصادر والمراجع ذات الصلة المباشرة والثيقة بموضوع البحث وتحليلها واستقراءها ومقارنتها مع بعضها، بغية الوصول إلى صورة واضحة وجليّة عن ما قدمه ياقوت الحموي في معجمه،

وتعكس مدى الصدق والتحقق من نقل المادة التاريخية الإخبارية في كتاب معجم البلدان،  
وخصوصاً البقعة المقدسة والمباركة لكل عربي ومسلم.

. **مصطلحات البحث:** ياقوت الحموي - معجم البلدان - إرشاد الأريب - عسكر الحموي -  
مكة المكرمة - الكعبة - زمزم - عرفات .



## ثانياً: ياقوت الحموي:

### 1. اسمه ونسبه:

شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ولد سنة (574هـ/1178م)، عرف باسم ياقوت الحموي نسبةً إلى مولاه الذي اشتراه بعد أن أسر من بلاده صغيراً، وابتاع ببغداد، التاجر عسكر ابن أبي نصر إبراهيم الحموي، كما عرف بياقوت الرومي لأنه كان من أهالي الدولة الرومانية الشرقية.<sup>(1)</sup>

### 2. نشأته ورحلاته:

عني بتربيته مولاه عسكر الحموي، وجعله من الكتاب ليستفيد منه في ضبط تجارته، لأن مولاه كان لا يحسن الخط ولا يعلم شيئاً غير التجارة، وكان ساكناً ببغداد، وعندما كبر ياقوت قرأ شيئاً من النحو واللغة، وقد شغله مولاه بالأسفار في تجارته لبلاد المشرق وخاصة إلى سواحل الخليج العربي، فكان يتردد إلى كيش<sup>(2)</sup> والتي لقي فيها جماعة من أهل العلم والأدب، ويذهب إلى عمان وتلك النواحي ويعود إلى الشام.

ثم جرت بينه وبين مولاه أمور ومشاحنات أوجبت عتقه، فأعتقه سنة (596هـ/1199م) وأبعده، فاشتغل بنسخ الكتب بالأجرة، فحصل له إطلاع ومعرفة وكان من الأذكياء، وقد عطف عليه سيده وأعطاه شيئاً من المال وسفره إلى كيش، وعند عودته كان مولاه قد مات، فأخذ حصته من تلك التجارة وأعاد الباقي لعائلته، وجعل ما بيده رأس ماله، فسافر متاجراً بالكتب، وجاب إيران وبلاد العرب، وآسيا الصغرى، ومصر والشام.

وكان ياقوت قد طالع كتب الخوارج، وتوجه إلى دمشق سنة (613هـ/1216م) فناظر هناك البعض في شأن الخليفة علي بن أبي طالب<sup>عليه السلام</sup>، وذكره بما لا يرضي، فثار عليه الناس وكادوا أن يقتلونه، فانهزم إلى حلب، ومنها إلى الموصل، ثم انتقل إلى

إربل<sup>(3)</sup> ومنها إلى خراسان<sup>(4)</sup> حيث مارس التجارة بها، واستوطن مدينة مرو<sup>(5)</sup> مدة، ثم إلى نسا<sup>(6)</sup> ومنها إلى خوارزم<sup>(7)</sup> حيث صادفه خروج التتار سنة (616هـ/1219م) فانهزم بنفسه، تاركاً كل ما يملك، عائداً إلى الموصل فقيراً أعوزه القوت، وأقام بها مدة، ثم ارتحل منها إلى حلب، وأقام بظاهرها في الخان، وقاسى الشدائد إلى أن توفي في العشرين من رمضان سنة (626هـ/1229م) عن نيف وخمسين سنة.<sup>(8)</sup>

### 3. مؤلفاته:

يعد ياقوت الحموي أديباً وشاعراً ولغوياً ونحوياً، كانت له همة عالية في تحصيل المعارف والعلوم، له من المؤلفات:

1. معجم الأدياء: (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب): جمع فيه ما وقف عليه من أخبار النحويين واللغويين والنسابين والقراء المشهورين والمؤرخين، والوراقين المعروفين والكتاب، وأصحاب الرسائل المدونة وأرباب الخطوط المنسوبة المعينة، وكل من صنف في الأدب تصنيفاً، أو جمع فيه تأليفاً، متعرضاً لإثبات الوفيات وتبيان المواليد والأوقات، ورتبه على حروف المعجم، وأفرد في آخر كل حرف فصلاً، وقد اشتمل على زهاء ثمانمائة ترجمة، موزعة على نحو 33 طبقة.<sup>(9)</sup>

2. المقتضب في النسب: ذكر فيه أنساب العرب،<sup>(10)</sup> وهو كتاب مقتضب عن كتاب جمهرة النسب لهشام بن محمد ابن السائب الكلبى المتوفى سنة (204هـ/819م).<sup>(11)</sup>

3. معجم الشعراء:

4. المبدأ والمآل: في التاريخ:

5. كتاب الدول: في التاريخ:

6. أخبار المتنبي<sup>(12)</sup> :

7. مجموع كلام أبي علي الفارسي<sup>(14)</sup>: (15)

8. معجم البلدان: موضوع البحث .

9. المشترك وضعاً والمختلف صقماً: وهو كتاب منتحل من معجم البلدان، وقد قال ياقوت الحموي في مقدمته: " وانتحلته من كتابي الكبير المسمى بمعجم البلدان وانتزعتها من رياض حدائقه الكثيرة الأفيان، فيما اتفق من أسماء البقاع لفظاً وخطاً ووافق شكلاً ونقطاً، وافترق مكاناً ومحلاً واختلف صقماً، ملحقاً بكل باب ما فيه زيادة ما تسقط في النسب، مقتصرراً على الأسماء وبعض ما لا بد منه لحصر الفائدة".<sup>(16)</sup>

ثالثاً: كتاب معجم البلدان:

هناك تأكيد دائم من قبل الجغرافيين بأن الجغرافية لا غنى لها عن التاريخ، كما أن هناك تأكيداً مستمراً من قبل المؤرخين بأن التاريخ لا يمكن أن يستغني عن الجغرافية، وقد لخص هذا الترابط بين الجغرافية والتاريخ بالقول المأثور بأن الجغرافية تمثل المسرح الذي يلعب الإنسان عليه أحداثه التاريخية.<sup>(17)</sup>

فاهتمام الجغرافيين بالتاريخ استمر وازداد إبان ازدهار الحضارة العربية والإسلامية، حيث دونت الجغرافية في مؤلفات كبيرة نظمت مادتها حسب الحروف الأبجدية تبعاً للأماكن الجغرافية، كما أن الجغرافيين تأثروا بالتراجم وباهتمام رجال الدين في ضبط أصول علماء الدين، فمعجم البلدان لياقوت الحموي، مع اهتمامه بالتاريخ والأخبار، قلما يهمل إيراد تراجم قصيرة لأبرز الشخصيات التي ظهرت في منطقة ما.<sup>(18)</sup>

إذاً فكتاب معجم البلدان من المعاجم الجغرافية المشتملة على المعرفة التاريخية والمرتبطة به، تتجلى فيه معرفة مؤلفه الواسعة للعالم، نتيجة زيارته لكل من مصر والشام والعراق وفارس والبلاد العربية وبلاد ما وراء النهر، مع اعتماده أيضاً بشكل أساسي على ما بحوزته من كتب جغرافية وتاريخية.<sup>(19)</sup>

أما عن دوافع تأليفه فقد أورد ياقوت الحموي في مقدمة كتابه (معجم البلدان) تلك الدوافع بقوله: "أما بعد: فهذا كتاب في أسماء البلدان والجبال والأودية، والقيعان والقرى والمحال، والأوطان، والبحار، والأنهار، والغدران، والأصنام، والأبداد، والأوثان، لم أقصد بتأليفه، وأصمد بنفسي لتصنيفه لهواً ولا لعباً، ولا رغبة حسننتي إليه ولا رهباً، ولا حنيناً استقزني إلى وطن، ولكن رأيت التصدي له واجباً، والانتداب له مع القدرة عليه فرضاً لازماً، وفقني عليه الكتاب العزيز الكريم وهداني إليه النبأ العظيم وهو قوله عز وجل: ﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾.<sup>(20)</sup>

وقول عيسى بن مريم عليه السلام: " الدنيا محل مثلة، ومنزل نقلة، فكونوا فيها سياحين، واعتبروا ببقية آثار الأولين"، فوجب لذلك علينا إعلام المسلمين بما علمناه، وإرفادهم بما أفدناه، إذ كان الافتقار إلى هذا الشأن يشترك فيه كل من ضرب في العلم بسهم، واختص منه بنصيب أو قسم، أو اتسم فيه باسم، أو ارتسم بفن منه أو رسم ..... وألجا حقائق الرشد في كل باب، ضارباً بقداح الفلج في أفانين العلوم والآداب".<sup>(21)</sup>

وقد قام ياقوت الحموي بترتيب معجمه عند ذكر الأماكن والبقاع على حروف المعجم، مراعيًا ترتيب حروف الهجاء، مقسمًا إياها على (28) باباً بحسب الحروف الأبجدية، وفي الباب الواحد . أي الحرف . راعى الترتيب الأبجدي في التنقل والتعريف بالأماكن، ومن ثم ضبط أسماء الأماكن والتعريف بها، وهذا ما أكد عليه بقوله: "أهو ساكن أم مفتوح أم مضموم أم مكسور، وأزال عنه عوارض الشبه ثم ذكر الاشتقاق إن كان عربياً أو أعجمياً، وفي أي إقليم وأي شيء طالعه، وما المستولي عليه من الكواكب رصد منها، وأي بلد من المشهورات يجاوره، وكم المسافة بينه وبين ما يقاربه، وبماذا اختص من الخصائص، وما ذكر فيه من العجائب وبعض من دفن فيه من الأعيان والصالحين والصحابه والتابعين، ونبدأ مما قيل فيه من الأسفار في الحنين إلى الأوطان، وفي أي زمان فتحه المسلمون وكيفية ذلك، ومن كان أميره، وهل فتح صلحاً أو عنوة،

ومن ملكه لهذا الزمان، على أن هذا ليس هو الخط المتبع في جميع التعريفات الواردة، وإنما اقتصر على البلدان المشهورة، وأمهاات المدن المعمورة". (22)

وقد قدم الحموي لمعجمه هذا في خمسة أبواب:

. الباب الأول: في ذكر صورة الأرض وحكاية ما قاله المتقدمون في هيئتها، وروي عن المتأخرين في صورتها.

. الباب الثاني: في وصف اختلافهم في الاصطلاح على معنى الإقليم وكيفيته واشتقاقه ودلائل القبلة في كل ناحية.

. الباب الثالث: في ذكر ألفاظ يكثر تكرار ذكرها فيه يحتاج معرفتها كالبريد والفرسخ والميل والكورة وغير ذلك.

. الباب الرابع: في بيان حكم الأرضين والبلاد المفتوحة في الإسلام وحكم قسمة الفيء والخراج فيما فتح صلحاً أو عنوة.

. الباب الخامس: في جمل من أخبار البلدان التي لا يختص ذكرها بموضع دون موضع، لتكمل فوائدها الكتاب، ويستغنى به عن غيره في هذا الباب. (23)

وقد أنهاه الحموي في العشرين من صفر سنة (621هـ/1124م) في مدينة حلب. (24)

وقد حوى المعجم بين دفتيه على (15038) مادة جغرافية، وتكمن أهميته في الجهد الواضح الذي قدمه ياقوت الحموي في جمعه لشتات المادة الجغرافية حتى عصره، شاملاً المناهج والمدارس كلها، ليقدمها بأسلوب جميل ولغة راقية، عكست ثقافته الأدبية مضيفاً إليها ما استجد لديه من معارف من خلال رحلاته وتجاربه وإطلاعه وما تلقاه من أفواه العلماء والرواة والتجار والكتاب الذين التقاهم في أسفاره.

لكن ما يؤخذ على كتاب (معجم البلدان) هو الإطالة ، وتشعيب المادة العلمية المقدمة بما حوته من معلومات أدبية وأشعار وأخبار، وهذا ما أكد عليه بعض علماء عصره واللاحقين منهم، وهذا ما ذكره عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت739هـ/1338م) صاحب كتاب (مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع) بقوله في مقدمة كتابه: "هذا كتاب أريد به أن يكون مختصراً لمعجم البلدان الذي ألفه ياقوت، ومنهجه في التأليف، فالغرض من وضع الكتاب إنما هو بيان علم مقصود به، فلذلك لا ينبغي أن يخلط به غيره مما يبين في علم آخر لئلا يتشعب الفهم، ويطول الكلام، فيؤدي إلى الإملال في سماعه، وهذه حال الكتاب المسمى بمعجم البلدان، فإن الغرض منه إنما هو معرفة أسماء الأماكن والبقاع التي على الربع المسكون من الأرض، مما ورد به خبر أو جاء في شعر، وبيان جهته من الأرض وموضعه من أصقاعها، فما زاد على هذا القدر فهو فضل لا حاجة غليه في المقصود منه، فهو وإن كان فيه علم زائد عن المطلوب فهو خارج عن الغرض". (25)

رابعاً: المادة الإخبارية التاريخية في ما يخص مكة المكرمة:

. مكة المكرمة:

ذكر ياقوت الحموي مكة وقام بالتعريف بها في باب الميم فصل الكاف وما يليهما، وهو الباب رقم (24) حسب الترتيب الأبجدي المتبع في معجم البلدان، وقد شغل الحديث عن مكة المكرمة ما يقارب الـ (8) صفحات من صفحات المعجم.

وقد بدأ ياقوت الحموي التعريف بمكة بقوله: " بيت الله الحرام ، قال بطليموس<sup>(26)</sup>: ( طولها من جهة الغرب ثمان وسبعون درجة، وعرضها ثلاث وعشرون درجة )، وقيل: إحدى وعشرون درجة، تحت نقطة السرطان، طالعتها الثريا، بيت حياتها الثور، وهي في الإقليم الثاني".

ثم انتقل للحديث عن الاسم والاشتقاق، فقال: "أما اشتقاقها، ففيه أقوال، قال أبو بكر الأنباري<sup>(27)</sup>: (سميت مكة لازدحام الناس بها من قولهم : قد امتك الفصيل ضرع

أمه إذا مصه مصاً شديداً، وسميت بكة لآزدهام الناس)، ويقال : مكة اسم المدينة وبكة اسم البيت، وقال آخرون: مكة هي بكة والميم بدل من الباء، وقال الشرقي بن القطامي<sup>(28)</sup>: (إنما سميت مكة لأن العرب في الجاهلية كانت تقول لا يتم جمعنا حتى نأتي مكان الكعبة فتمك فيه، أي نصر صفير المكاء حول الكعبة، وكانوا يصفرون ويصفقون بأيديهم إذا طافوا)، وقال قوم : سميت مكة لأنها بين جبلين مرتفعين عليها وهي في هبطة بمنزلة المكوك، وقال آخرون : سميت مكة لأنها لا يفجر بها أحد إلا بكت عنقه، فكان يُصبح وقد التوت عنقه.

وهنا ياقوت الحموي بعد ذكره سبب التسمية يقوم بترجيح سبب التسمية والاشتقاق بقوله: "ووجدت أنا أنها سميت مكة من مك الثدي أي مصه لقله مائها لأنهم كانوا يمكن الماء أي يستخرجونه، وقيل : أنها تمك الذنوب أي تذهب بها كما يمك الفصيل ضرع أمه فلا يبقى منه شيئاً"<sup>(29)</sup>.

ثم انتقل ياقوت الحموي بعد ذلك لذكر أسماء مكة : " ولها أسماء غير ذلك وهي: مكة وبكة والنساسة وأم رُحم وأم القرى ومعاد والحاطمة لأنها تحطم من استخف بها، والبيت العتيق لأنه عتق من الجابرة، والرأس لأنها مثل رأس الإنسان، والجرم وصلاح، والبلد الأمين والعرش والقادس لأنها تقدر من الذنوب أي تطهر، والمقدسة والناسة والباسة، لنها تبس أي تحطم الملحدين وكوثي باسم بقعة كانت نزل بني عبد الدار"<sup>(30)</sup>.

وبعدها ذكر الحموي مكانة مكة وفضلها، ومن الملاحظ هنا أن الحموي عند ذكر فضل مكة، لم يزم بذكر السورة أو الآية أو إسناد الحديث إلى رايه كما جرت العادة عند أغلب المؤرخين، بل اكتفى بذكر الآية أو الحديث الشريف، كقوله : قال تعالى: ﴿جعل الله البيت الحرام قياماً للناس﴾<sup>(31)</sup> وقال تعالى على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾<sup>(32)</sup> وعندما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة وقف وقال: "إني لأعلم أنك أحب البلاد إلي وإنك أحب أرض الله إلى الله، ولولا أن المشركين أخرجوني منك ما خرجت"<sup>(33)</sup>.

وقال ابن أم مكتوم<sup>(34)</sup> وهو أخذ بزمام ناقة رسول الله ﷺ وهو يطوف:

يا حبذا مكة من وادي

أرض بها أهلي وعوادي

أرض بها ترسخ أوتادي

أرض بها أمشي بلا هادي

ووقف رسول الله ﷺ عام الفتح (8هـ/629م) على جمرة العقبة وقال: " والله إنك لخير أرض الله وإنك لأحب أرض الله إلي ولو لم أخرج ما خرجت، وإنها لم تحل لأحد كان قبل ولا تحل لأحد كان بعدي، وما أحلت لي إلا ساعة من نهار، ثم هي حرام لا يعضد شجرها ولا يحتش ضلالها ولا تلتقط ضالتها إلا لمنشد"<sup>(35)</sup>.

وبعد إيراد عدد من الأحاديث غير المنسوبة لسند، نرى ياقوت تحدث عن شرفها: " أنها كانت لقاحاً لا تدين لدين الملوك ولم يؤد أهلها أتاوة ولا ملكها ملك قط من سائر البلدان، وكان أهله آمنين يغزون الناس ولا يغزون ويسبون ولا يسبون، ولم تسب قرشية قط فتوطأ قهراً ولا يُجال عليها السهام"<sup>(36)</sup>.

ثم أورد الحموي عادات أهل مكة حيث قال: "أن أهل مكة كانوا حلفاء متآلفين ومتمسكين بكثير من شريعة سيدنا إبراهيم عليه السلام، ولم يكونوا كالأعراب الأجلاف، وكانوا يختنون أولادهم، ويحجون البيت، ويكفنون موتاهم ويغتسلون من الجنابة وتباعدوا في المناكح من البنات وبنات البنات والأخت وبنات الأخت، وكانوا يتزوجون بالشهود ويطلقون بالثلاث ....."، وغيرها من العادات التي أورد ذكرها.

وبعدها ذكر عادات الحج قبل الإسلام كحرمة الأشهر الحرام والمناسك ولباس الإحرام ومناسك الحج وغيرها.

ثم انتقل للحديث عن رؤساء مكة وأول من سكنها، حيث استعرض تاريخياً التسلسل الزمني دون إسناد الروايات: "أن إبراهيم الخليل عليه السلام لما حمل ابنه إسماعيل عليه السلام إلى مكة، جاءت جرحم وقطوراء، وهما قبيلتان من اليمن وهما ابنا عم، وهما جرحم ابن عامر بن سبأ بن يقطن بن عامر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام فنزلا بمكة،



ونكح إسماعيل عليه السلام من جرهم ..... ، وعندما بغت جرهم بمكة غلبتهم خزاعة على مكة وفتتهم عنها، ثم وليت خزاعة مكة ثلاثمائة سنة يتوارثون ذلك، حتى كان آخرهم خليل بن حبشية، فتزوج قصي بن كلاب من حُبى بنت خليل بن حبشية، وولدت بنيه الأربعة وكثر ولده وعظم شرفه" وتابع الحموي حديثه عن تنظيمات قصي بن كلاب لمكة ، كدار الندوة التي كانت داراً للاجتماع على الخير والشر، ومن ثم كيف انتقلت أمور مكة وتنظيماتها إلى بنيه عبد الدار وعبد مناف، ولم يزلوا على ذلك حتى جاء الإسلام، وقرش على ذلك حتى فتح مكة .

وفي نهاية المطاف وبعد هذا العرض التاريخي، نرى الحموي قد عاد لوصف مكة بقوله: "وهي مدينة في واد والجبال مشرفة عليها من جميع النواحي محيطة حول الكعبة<sup>(37)</sup> وبنائها من حجارة سود وبيض ملس"، ومن ثم تحدث عن جوها السائد والمسجد الحرام وموقعه " في ثلثي البلد والكعبة في وسط المسجد، وليس بمكة ماء جارٍ ومياهها من السماء، ليس لهم آبار يشربون منها وأطيبها بئر زمزم"، ثم تحدث عن النباتات والزرع بمكة " فليس بها شجر مثمر إلا نخيل يسيرة متفرقة" .

ثم اختتم حديثه عن المسافات بين مكة وباقي البقاع كمدينة دمشق والكوفة والبصرة، وعدد من الطرق والمسالك.<sup>(38)</sup>

ومن الملاحظ أن الحموي عند التعريف بمكة قد قدم سرداً تاريخياً وإخبارياً مفصلاً عن مكة واسمها واشتقاقها وفضلها وشرفها ومكانتها والقبائل التي سكنتها، وعادات أهل مكة وطبائعهم وشعائرهم، وقبيلة قرش وتنظيماتها لمكة حتى مجيء الإسلام، ولا يتحدث عنها بعد الإسلام، وقد شغلت المادة التاريخية الحيز الأكبر من حديثه، وضمت العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة غير المسندة، و(40) بيتاً من الشعر يردها إلى منشديها، مما يدل على اطلاع واسع وثقافة عالية تمتع بها ياقوت الحموي.

كما أن ياقوت الحموي قد قام بالتعريف بالكعبة في المجلد الأول في باب الباء فصل الباء، تحت عنوان:

. **البيت العتيق**: في بضعة أسطر، وعرف به بقوله: " وهو الكعبة، وقيل اسمه من أسماء مكة، سمي بذلك لعنته من الجبارين أي لا يتجبرون عنده بل يتذللون، وقد يكون العتيق بمعنى القديم<sup>(39)</sup>.

وفعل كذلك في باب الكاف فصل العين، تحت عنوان:

. **الكعبة**: صراحةً، بدأ التعريف بقوله: "بيت الله الحرام"، وهو تعريف مطول استغرق زهاء الأربع صفحات، ذكر فيه فضل بيت الله الحرام، وكيفية اختيار الله ﷻ المكان، قال ابن عباس<sup>(40)</sup>: " ( لما كان العرش على الماء قبل أن يخلق الله السماوات بعث ريحاً فصفت الماء، فأبرزت عن خسفة في موضع البيت كأنها قبة، فدحا الأرض من تحتها فمادت فأوتدها بالجمال"، والخسفة: تنبت في البحر نباتاً، وقد جاء في الأخبار: أن أول ما خلق الله في الأرض مكان الكعبة ثم دحا الأرض من تحتها، فهي سرة الأرض ووسط الدنيا وأم القرى).

ثم ذكر الأحاديث حول ذلك، والملاحظ هنا أن الحموي عمد إلى ذكر الأحاديث كاملة السند ذاكراً لسلسلة الرواة كاملة، ثم ذكر بناء الكعبة وصفاتها، حيث قال: " وهي في وسط المسجد الحرام مربع الشكل، بابه مرتفع عن الأرض نحو قامة عليه مصراعان ملبسان بصفائح الفضة قد طليت بالذهب مقابلاً للمشرق، وطول الكعبة أربعة وعشرون ذراعاً وشبر، وعرضها ثلاثة وعشرون ذراعاً وشبر..... والحجر الأسود على الركن الشرقي عن الباب على لسان الزاوية في مقدار رأس الإنسان، ومقام إبراهيم ﷺ، بإزاء وسط البيت الذي فيه الباب"، وكيفية رفع قواعد البيت، وبئر زمزم، وذكر خصائص الكعبة وأفضالها التي لا تحصى وكسوتها، والمستجدات التي طرأت على بنائه منذ أيام الرسول ﷺ والعصور اللاحقة.<sup>(41)</sup>

. **زمزم**: أفرد الحموي لبئر زمزم تعريفاً خاصاً في باب الزاي فصل الميم، زهاء الثلاث صفحات، وبدأ التعريف به بقوله: " بفتح أوله، وسكون ثانيه، وتكرير الميم والزاي، وهي

البئر المباركة المشهورة، قيل : سميت زمزم لكثرة مائها، يقال : ماء زمزم وزمام، وقيل: سميت بضم هاجر أن إسماعيل عليه السلام لمائها حين انفجرت وزمها إياه حيث قيل : لو تركت لساحت على الأرض حتى تملأ كل شيء، وقيل سميت بذلك لأن سابور<sup>(42)</sup> الملك لما حج البيت أشرف عليها وزمزم فيها، الزمزمة كلام الفرس وقراءتهم على صلاتهم وعلى طعامهم، وقيل : بل سميت زمزم لزمزمة جبرائيل عليه السلام، وكلامه عليها، وقال ابن هشام<sup>(43)</sup>: ( الزمزمة عند العرب الكثرة والاجتماع )، وقال المسعودي<sup>(44)</sup>: ( والفرس تعتقد أنها من ولد إبراهيم الخليل عليه السلام وقد كانت أسلافهم تقصد البيت الحرام، وتطوف به تعظيماً لجدها إبراهيم وتمسكاً بهديه وحفظاً لأنسابها، وكان آخر من حج منهم ساسان بن بابك<sup>(45)</sup>، وكان ساسان إذا أتى البيت وطاف به زمزم على هذه البئر )،<sup>(46)</sup> روي عن جعفر الصادق<sup>(47)</sup> عليه السلام أنه قال: ( كانت زمزم من أطيب المياه فأنبط الله فيها عيناً من الصفا فأفسدتها )، وروي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " التزلع من ماء زمزم براءة من النفاق، وماء زمزم لما شرب له"<sup>(48)</sup>.

وهنا نرى الحموي قد عاد ليسرد رواية أخرى في بئر ماء زمزم دون ذكر لراوي الخبر بقوله: " وفي الخبر: أن إبراهيم عليه السلام، لما وضع إسماعيل بموضع الكعبة وكر راجعاً ، قالت له هاجر : إلى من تكلنا؟ قال: إلى الله، قالت: حسبنا الله، فرجعت وأقامت عند ولدها حتى نفذ ماؤها وانقطع درها، فغمها ذلك وأدركتها الحنة على ولدها، فتركت إسماعيل في موضعه، وارتقت على الصفا تنظر هل ترى عيناً أو شخصاً، فلم تر شيئاً، فدعت ربها واستسقته، ثم نزلت حتى أتت المروة ففعلت مثل ذلك، ثم سمعت أصوات السباع فخشيت على ولدها فأسرعت، فوجدته يفحص الماء من عين قد انفجرت من تحت خده، قالوا : فلما رأته هاجر الماء سرت به وجعلت تحوطه بالتراب لئلا يسيل فيذهب، ولو لم تفعل ذلك لكان عيناً جارية، ومن الناس من ينكر ذلك ويقول: إن إسماعيل حفره بالماحول والمعالجة كسائر المحفورات، والله أعلم.

وتناولت الأيام على ذلك فلم يبق لزمزم أثر يعرف، فذكر أن عبد المطلب جد الرسول، بينما هو نائم في الحجر إذ جاءه أمر بحفر زمزم..... وأقام عبد المطلب سقاية زمزم للحاج"<sup>(49)</sup>.

. **الصفاء والمروة**: جاء التعريف بالصفاء بباب الصاد فصل الفاء، وقد عرفه الحموي بقوله: "الصفاء بالفتح والقصر والصفاء والصفوان والصفواء كله العريض من الحجارة الملس، جمع صفاء، ويكتب بالألف ويثنى صفوان، ومنه الصفاء والمروة، وهما جبلان بين بطحاء مكة والمسجد، أما الصفاء فمكان مرتفع من جبل أبي قبيس، بينه وبين المسجد الحرام عرض الوادي الذي هو طريق وسوق". (50)

وجاء كذلك تعريف المروة مقتضياً كما تعريف الصفاء، في باب الميم فصل الراء، حيث قال فيه: "المروة واحده المرو الذي قبله، جبل بمكة يعطف على الصفاء، ومن جبال مكة وهو مائل إلى الحمرة". (51)

. **عرفات**: عرف الحموي بعرفات في باب العين فصل الراء، وقال فيه: "إن عرفة وعرفات اسم لموضع واحد، وعرفه حدها من الجبل المشرف على بطن عُرنة إلى جبال عرفة، وقرية عرفة موطن النخل بعد ذلك بميلين".

وعند ذكر الحموي سبب تسمية عرفة بهذا الاسم نراه لا يسند قوله، بل اكتفى بقوله قيل: "في سبب تسميتها بعرفة إن جبرائيل عليه السلام عرف إبراهيم عليه السلام المناسك فلما وقفه بعرفة قال له: عرفت؟ قال: نعم، فسميت عرفة، ويقال: بل سميت بذلك لأن آدم وحواء تعارفا بها بعد نزولهما من الجنة، ويقال: إن الناس يعترفون بذنوبهم في ذلك الموقف، وقيل: بل سمي بالصبر على ما يكابدون في الوصول إليها لأن العرف الصبر".

وهنا ذكر الحموي الإسناد عن الحديث عن حد عرفة، حيث قال: "قال ابن عباس: (حد عرفة من الجبل المشرف على بطن عُرنة إلى جبالها إلى قصر آل مالك ووادي عرفة)، وقال البشاري<sup>(52)</sup>: (عرفة قرية فيها مزارع وخضر ومباطخ وبها دور حسنة لأهل مكة ينزلونها يوم عرفة)". (53)

. **المزدلفة**: في باب الميم فصل الزاي، عرفها الحموي بقوله: "بالضم ثم السكون، ودال مفتوحة مهملة ولام مكسورة وفاء، اختلف فيها لم سميت بذلك، فقيل: مزدلفة منقولة من

الازدلاف وهو الاجتماع، وفي التنزيل: ﴿وأزلفنا ثم الآخرين﴾<sup>(54)</sup>، وقيل: الازدلاف الاقتراب لأنها مقربة من الله، وقيل: لازدلاف الناس في منى بعد الإقامة، وقيل: لاجتماع الناس بها، وقيل: لازدلاف آدم وحواء منها أي لاجتماعهما، وقيل: لنزول الناس بها في زلف الليل وهو جمع أيضاً، وقيل: الزلفة القرية فسميت مزدلفة لأن الناس يزدلفون فيها إلى الحرم، وقيل: أن آدم عليه السلام لما هبط إلى الأرض لم يزدلف إلى حواء، أو تزدلف إليه حتى تعارفا بعرفة واجتمعا بالمزدلفة فسميت جمعاً ومزدلفة، وهو مبيت للحاج وجمع الصلاة إذا صدروا من عرفات<sup>(55)</sup>.

. منى: في باب الميم فصل النون، قال في تعريفها: " منى بالكسر والتثنية، في درج الوادي الذي ينزله الحاج ويرمي فيه الحجار من الحرم، سمي بذلك لما يمنى به من الدماء أي يراق، قال الله تعالى: ﴿ من منى يمنى ﴾<sup>(56)</sup>، وقيل لأن آدم عليه السلام تمنى فيها الجنة، قيل: منى من مهبط العقبة إلى محسر وموقف المزدلفة من محسر إلى أنصاب الحرم وموقف عرفة في الحل لا في الحرم"، ثم ذكر الحموي العديد من الروايات في أصل التسمية منسوبة إلى روايتها، مع ذكر بعض الأشعار المتعلقة بمنى.<sup>(57)</sup>

#### خامساً: الخاتمة .

إذا ما أعدنا أي قيمة ومنتوج حضاري للأفراد الذين من خلال انسجامهم التام ساقوا الحضارة العربية الإسلامية إلى مدارج الرقي، فقد تهيأ لهذه الأمة كمّ ليس بالقليل من العقول النيرة وفي كل مجالات المعرفة والتي كان لها أثرها في العلم والعقل، ومن ثم لنجد في تلك العقول أبرز مزية وهي التوسع والتنوع والفكر الموسوعي.

حيث اتسم علماء الأمة العربية والإسلامية عموماً بالفكر الموسوعي والثقافة العامة، فالمؤرخ بطبيعة الحال كان محدثاً ومفسراً وجغرافياً ولملاً بالعديد من العلوم الأخرى، وكذلك الجغرافي الذي ربط معارفه ورحلاته وأسفاره بالتاريخ والعلوم الدينية والأدبية والاجتماعية وحتى الاقتصادية، وهذا ما يلاحظ في هذا المثال المطروح كتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي، الذي يتسم بالموسوعية والفكر الشمولي، على الرغم أن

ياقوت الحموي لم يتلق العلوم بشكل صريح عن طريق الشيوخ والعلماء والمفكرين، ولم ينادى بالإجازات العلمية كغيره من العلماء، بل كان جهداً ذاتياً خالصاً نتيجة النسخ والاطلاع والتدوين والرحلات.

فتجسد هذا الفكر الموسوعي الجغرافي والأدبي والديني والتاريخي عند التعريف بأي موقع حيث يبدأ يضبطه لغوياً مع ذكر الاشتقاق، ويحدد الموقع والطالع والمسافات الفاصلة بينه وبين المواقع الأخرى، وذكر نبذة من تاريخه من أكثر من جهة ومصدر، وما شهدته من أحداث فاصلة ومن سكنه من الشعوب والأقوام وطبائعهم وما اشتهروا به مع ذكر أبرز رجاله، مع تداخل لآيات من كتاب الله، وكذلك الحديث الشريف، وإيراد الأشعار وما قيل فيه.

والملاحظ أن ياقوت الحموي وعند تعريفه بأي موقع مشهور يطيل الحديث ويسهب في ذكر الوقائع التاريخية حتى تكون الغلبة لصالح المادة التاريخية على حساب المادة الجغرافية، كما هو جلي وواضح في الحديث عن مكة المكرمة وما تحتويه من معالم أخرى، فجاءت المادة الإخبارية التاريخية غنية واسعة مفسرة متعددة الأوجه، تترك دون ترجيح إلا في حالات نادرة، كقوله: " ووجدت أنا " .

كما أن ياقوت الحموي نراه في المجمل لا ينسب السور والآيات، ويكتفي بالقول قال تعالى، وفي بعض الأحيان ينسب الحديث إلى راويه، وأحياناً أخرى لا ينسبه إلى راويه، كما أنه لا يذكر طبيعة الحديث أكان صحيحاً أم لا، كما ذكر العلماء في فضل بئر زمزم على سبيل المثال (وماء زمزم لما شرب له) أنه حديث موضوع، على عكس الأبيات الشعرية التي ينسبها إلى قائلها وفي أي موضع أو سبب قيلت فيه، وهذا يدل على ثقافة أدبية واسعة.

وفي الحقيقة لا يمكن حصر كل ما قيل عن مكة المكرمة في هذه الموسوعة في هذا المقام، فهناك العديد من المواقع التي لم يأت البحث على ذكرها كغار حراء على سبيل المثال، كما أن هذه الموسوعة الجغرافية المسمى الشمولية الطابع بحاجة إلى المزيد

من العمل لما تحتويه بين دفتيها من مادة علمية وعلى وجه الخصوص الإخبارية التاريخية منها.

### الهوامش

(1). ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج6، ص127؛ الذهبي، محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط9، 1992م، ج22، ص312؛ الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م، ج8، ص131؛ حسن، علي إبراهيم: استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، ط3، 1980م، ص100.

(2). جزيرة كيش وسط البحر بين عمان وبين فارس، في الطريق إلى الهند، أبو الفداء: إسماعيل بن علي: تقويم البلدان، إعتناء: رينود والبارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ص373.

(3). إربل: مدينة بين الزابيين، فيما بين الشرق والجنوب عن الموصل، ومنها إلى الموصل مسير يومان، أبو الفداء: تقويم البلدان، ص413.

(4). خراسان: وهي أحد أقاليم مملكة إيران، يحيط بها من جهة الغرب بلاد الجبل وجرجان، ومن جهة الجنوب فارس وقومس، ومن جهة الشرق سجستان وبلاد الهند، ومن جهة الشمال بلاد ما وراء النهر وتركستان، أبو الفداء: تقويم البلدان، ص440؛ القلقشندي، أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1914م، ج4، ص389.

(5) . مرو: قصبة خراسان وقاعدة الملك، وهي مدينة عظيمة، بينها وبين نيسابور اثنا عشر يوماً، ومثلها إلى هراة، ومثلها إلى بلخ، ومثلها إلى بخارى، الحموي، ياقوت: المشترك وضعاً المفترق صقماً، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1986م، ص395 .

(6). نسا: مدينة بخراسان، بين أبيورد وسرخس، الحوي: المشترك وضعاً ص418.

(7)خوارزم: إقليم منقطع عن خراسان وعن ما وراء النهر، ويحيط به من الغرب بعض بلاد الترك، ومن جهة الجنوب خراسان، ومن الشرق بلاد ما وراء النهر، ومن الشمال بلاد الترك، أبو الفداء: تقويم البلدان، ص477.

(8). ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج6، ص127. 128؛ الذهبي، محمد بن أحمد: تاريخ الإسلام، تح: بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1988م، ج45، ص266؛ الزركلي: الأعلام، ج8، ص131؛ كحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1993م، ج4، ص83؛ حسن: استخدام المصادر، ص100.

(9). الحموي، ياقوت: معجم الأدباء . إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993م؛ حسن : استخدام المصادر، ص101.

(10). ابن العماد، عبد الحي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الميسرة، بيروت، ط2، 1979م، ج5، ص121؛ الزركلي: الأعلام، ج8، ص131؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج4، ص83.

(11). البغدادي، إسماعيل باشا: هدية العارفين . أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1955م، مج2، ص 508. 509.



- (12). الشاعر المعروف أبو الطيب المتنبّي أحمد بن الحسن الجعفي الكوفي (ت 354هـ/965م)، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص120. 123؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج3، ص13.
- (13). أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي النسوي، إمام النحو، وصاحب التصانيف الكثيرة والنافعة، (ت377هـ/987م)، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج16، ص379.
- (15). الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج22، ص312؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج5، ص121؛ الزركلي: الأعلام، ج8، ص131.
- (16). الحموي: المشترك وضعاً، ص3. 4.
- (17). خصباك، شاعر: الجغرافية عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1987، ص71.
- (18). روزنثال، فرانز: علم التأريخ عند المسلمين، تر: صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1983م، ص149.
- (19). ترحيني، محمد أحمد: المؤرخون والتاريخ عند العرب، دار المعارف، بيروت، ص172.
- (20). سورة الحج: آية (46).
- (21). الحموي، ياقوت: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م، مج1، ص7. 8.
- (22). الحموي: معجم البلدان، مج1، ص12.
- (23). الحموي: معجم البلدان، مج1، ص15.
- (24). الحموي: معجم البلدان، مج5، ص457.

(25). البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق: مرصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تح: علي محمد الجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992م، مج1، ص1.

(26)- كلاوديوس بطليموس أعظم علماء الفلك الأقدمين، عاش في الإسكندرية في العصر البطلمي، وظل يرصد فيها الأجرام السماوية من عام (127م) لغاية عام (151م) ومن أشهر كتبه كتاب (المجسطي) الذي ترجم إلى العربية، ديورانت، ويل: قصة الحضارة، تر: محمد بدران، القاهرة، 1975م، ج11، ص106.

(27). أبو بكر بن محمد بن القاسم بن بشار ابن الأنباري، الإمام الحافظ المقرئ النحوي، (ت 328هـ/939م)، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج15، ص274؛ الصفدي، خليل بن أييك: الوافي بالوفيات، اعتناء يوسف فان آس، جمعية المستشرقين الألمانية، ط2، 1982م، ج4، ص245.

(28). الوليد المعروف بشريقي بن حصين الملقب بالقطامي بن حبيب بن جمال الكلبلي أبو المثني، عالم بالأدب والنسب، من أهل الكوفة (ت نحو 155هـ/772م)، الزركلي: الأعلام، ج8، ص120.

(29). الحموي: معجم البلدان، مج5، ص181. 182.

(30). الحموي: معجم البلدان، مج5، ص182؛ وقد قال القلقشندي في كتابه (صبح الأعشى): " أما أسماء مكة فهي : البلد الأمين وأم رحم: لأن الناس يتراحمون فيها ويتواعدون، الباسة : لأنها تبس الظالم أي تحطمه، والناسة: لأنها تنس الملحدين أي تطرده، والنساسة لذلك أيضاً والحاطمة: لأنها تحطم الظالم، والرأس والكوثى والقدس والقادس والمقدسة"، القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص250.

(31). سورة: المائدة، الآية (97).

(32). سورة: إبراهيم، الآية (35).

(33). روى الحديث عبد الله بن عباس الصحابي المشهور، ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسند الإمام أحمد، تح: أحمد شاكر، المكتب الإسلامي، بيروت، ط5، د.ت، ج4، ص305.

(34). عبد الله بن قيس بن زائدة بن الأصم بن واحة القرشي، وأمه أم مكتوم، من السابقين المهاجرين، كان ضريراً مؤذناً لرسول الله مع بلال، استشهد يوم القادسية سنة (15هـ/636م)، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج1، ص360.

(35). راوي الحديث أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي الصحابي المشهور (ت59هـ/678م)، البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، تح: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط2001، م1، ج1، ص32.

(36). الحموي: معجم البلدان، مج5، ص183.

(37). الجبال المحيطة بمكة هي : جبل أبي قبيس، وجبل قينقاع، وجبل حراء، جبل ثور، جبل تبير، القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص247.

(38). الحموي: معجم البلدان، مج5، ص185. 186. 187.

(39). الحموي: معجم البلدان، مج1، ص521.

(40). أبو العباس عبد الله ابن عم الرسول ﷺ العباس بن عبد المطلب، فقيه العصر وإمام التفسير والحديث، روى عن الرسول ألف وستمائة وستون حديثاً، (ت67هـ/686م)، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج3، ص331.

(41). الحموي: معجم البلدان، مج4، ص463 وما بعدها.

(42). سابور بن هرمز بن نرسي بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير، أحد ملوك الدولة الفارسية الساسانية، التي كانت من أعظم الدول وأشدّها قوة، ابتداءً أمرها

سنة (224م) وأطاحت بها الخلافة الإسلامية عام (31هـ/651م)، ودعي سابور بنو الأكتاف لكثرة سفكه دماء العرب، فكان ينزع أكتاف العرب، وغزا البلاد العربية، ولم يمر بماء من مياه العرب إلا غوره، ولا بئر إلا وطمسها، الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ص55؛ أبو الفداء، إسماعيل بن علي: المختصر في أخبار البشر، تح: محمد زينهم عزب، دار المعارف، القاهرة، ط1، د.ت، ج1، ص69؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: تاريخ ابن خلدون . ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1999م، مج3، ص339.

(43). عبد الملك بن أيوب بن هشام الذهلي، العلامة النحوي الإخباري، هذب السيرة النبوية، (ت218هـ/833م)، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج10، ص428.429.

(44). علي بن الحسين بن علي أبو الحسن المسعودي المؤرخ، صاحب كتاب ( مروج الذهب ومعادن الجوهر في تحف الأشراف والملوك ) ، (ت346هـ/957م)، الصفدي: الوافي، ج21، ص5.6.

(45). ساسان الأصغر ابن بابك بن ساسان بن بابك ابن هرمز بن ساسان الأكبر ابن كي بهمن، جد الملك أزدشير الأول مؤسس الإمبراطورية الفارسية الساسانية، ابن خلدون: "تاريخ ابن خلدون، مج3، ص339.

(46). المسعودي، الحسين بن علي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، اعتناء: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2005م، ج1، ص185.

(47). جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، أحد الأئمة الإثني عشر، من سادات أهل البيت (ت248هـ/862م)، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص327.

(48). قيل عن هذا الحديث أنه موضوع، لكن ذكره ابن ظهيرة، محمد بن محمد: الجامع اللطيف في فضل مكة وبناء البيت الشريف، تح: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1954م، ص267.

(49). الحموي: معجم البلدان، مج3، ص147. 148. 149.

(50). الحموي: معجم البلدان، مج3، ص 411.

(51). الحموي: معجم البلدان، مج5، ص116.

(52). محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء المقدسي، المعروف بالبشاري، مؤرخ رحالة جغرافي، من آثاره (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)، (ت375هـ/985م)، حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تصحيح محمد شرف الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1941م، مج1، ص16؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج3، ص52.

(53). الحموي: معجم البلدان، مج4، ص104.

(54). سورة الشعراء: الآية (64).

(55). الحموي: معجم البلدان، مج5، ص 120.

(56). سورة القيامة: الآية (37).

(57). الحموي: معجم البلدان، مج5، ص198.

## المصادر والمراجع

### المصادر:

- . البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، تح: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط2001، 1م.
- . البغدادي، إسماعيل باشا: هدية العارفين . أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1955م.
- . البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق: مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تح: علي محمد البجاوي، دار الجبل، بيروت، ط1، 1992م.
- . الحموي، ياقوت: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م.
- . الحموي، ياقوت: المشترك وضعاً المفترق صقماً، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1986م.
- . الحموي، ياقوت: معجم الأدباء . إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993م.
- . ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسند الإمام أحمد، تح: أحمد شاكر، المكتب الإسلامي، بيروت، ط5، د.ت.
- . ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: تاريخ ابن خلدون . ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1999م.
- . ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ، ص100.

. الذهبي، محمد بن أحمد: تاريخ الإسلام، تح: بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1988م.

. الذهبي ، محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط9، 1992م.

. الصفدي، خليل بن أيبك: الوافي بالوفيات، اعتناء يوسف فان آس، جمعية المستشرقين الألمانية، ط2، 1982م.

. الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت.

. ابن ظهيرة، محمد بن محمد: الجامع اللطيف في فضل مكة وبناء البيت الشريف، تح: علي محمد الجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1954م.

. ابن العماد، عبد الحي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الميسرة، بيروت، ط2، 1979م.

. أبو الفداء: إسماعيل بن علي: تقويم البلدان، إعتناء: رينود والبارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس.

. أبو الفداء، إسماعيل بن علي: المختصر في أخبار البشر، تح: محمد زينهم عزب، دار المعارف، القاهرة، ط1، د.ت.

. القلقشندي، أحمد بن علي : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1914م.

. المسعودي، الحسين بن علي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، اعتناء: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2005م.

#### المراجع :

. ترحيني، محمد أحمد: المؤرخون والتاريخ عند العرب، دار المعارف، بيروت.

. حسن، علي إبراهيم: استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، ط3، 1980م.

. خصباك ، شاكرا: الجغرافية عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1987.

. الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م.

. كحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1993م.

#### المراجع العربية:

. ديورانت، ويل: قصة الحضارة، تر: محمد بدران، القاهرة، 1975م .

. روزنتال، فرانز: علم التأريخ عند المسلمين، تر: صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1983م.